أصول عظيمة موقعات الدال الإسلاهم

ويليه
منهج الحق

منظمة في العقيدة والأخلاق

للعلامة عبد الرزاق بن ناصر السعداء

下さい بهما

عبد الرزاق بن ناصر السعداء

من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي

www.binsaadi.com

طبع على نفقة بعض الحسنين

جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المنوبة
أصول عظيمة من قواعد الإسلام
ويليه
منهج الحق
فهرسة مكتبة الملحق فهد الوطنية أثناء النشر
السعودي، عبد الرحمن ناصر
أصول عظيمة في قواعد الإسلام / عبدالرحمن ناصر السعدي;
عبدالرزاق عبدالمحسن حمد العباد الابد - الرياض، 1432 هـ.
80 ص؛ 14 × 20 سم
ردمك: 6 – 31 – 8034 – 8023 978
1 - الإسلام 2 - الفقه الإسلامي أ. الابد، عبدالرزاق عبدالمحسن
حمد العباد (محقق) ب. العنوان
دیوی 10 6709 1432

رقم الإيداع: 1432/4709
ردمك: 6 – 31 – 8034 – 8023 978

كل حقوق محفوظة
الطبعـة الأولى
1432 هـ - 2011
أصول عظيمة مِن قواعد الإِسْتِهِام
ويليه منهج الحَق
منظومة في العقيدة والأخلاق
للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

اعتنى بهما
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي
www.binsaadi.com
بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الإله الصمد، وأشهد أن لا إله إلا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فهِذه دُرْة فرِيدة وتُحْفَة جَدِيَّة مِن دُرْرِ وَفَوَايْدِ العَلَّامة
عبد الرّحْمَن بن ناصِر السّعدي رَحمه الله تعالى النّفیسة
التي لم تنْشر بعْدُ، أتَحْفِنا بِها أَبْنَاوَهُ وأَحْفَادُهُ الكَرَام،
سُمّاهَا دُرْتَةً «أَصُولُ عَظِيمَةٌ مِن قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ» وَبِناها عَلَى
خمس قواعد عظيمة على قيام هذا الدِّين:

١. الأولى: الدِّين كله مبنيٌ على عبادة الله وحده،
والاستعانة به وحده.
• النَّائِئَة: الَّذِينُ الحقّ هو ما جاء به الرسول من كتاب الله وسِنَّة رسوله.

• النَّائِلَة: الإيمان بالله هو الأصل الذي دعت إليه جميع الرسول، وله الرقية الحقيقي في الدنيا والآخرة.

• الرَّابِعَة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتَّواؤل بالحق والتَّواؤل بالصبر.

• الخَامِسَة: الَّذِين الإسلامى هو الصلاح المطلق ولا سبيل إلى صلاح البشر الصلاح الحقيقي، إلَّا بالدُّين الإسلامى.

وبسط القول في هذه القواعد شرحا وبياناً، وذكرنا للشواهد والدلائل، وإيضاحاً للثمار والآثار، بأسلوبه العلمي البديع المعهود منه صلى الله، بتحقيقاته المتينة وعباراته الرصينة وتبنياته اللطيفة وألفاظه السهيلة، وبتفسِّر إمام ناصح ومركب مشفق وهاد رفيق تدخل كلماته القلب وتتمتى إليها النفوس، فكم قدمن لنا من صنائع حسان ومواقف عظام وعطايا جمال من لآل العلم وبدائع الفنون وجميل القوائد وكرم التحف والفرائد، مما كان له على حقوقة لا نكانته عليها إلَّا بالدعاء، كما قال تعالى: "من صنعوا إليكم معروفاً فكأنهوا، فإن لَّم تجدوا".
ما تكافئونه فأذعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، فأسأل الله أن يعظم أجره ومثوبته، وأن يعلمي في الجنة منزلته ودرجته، وأن يجزيه عنا خير الجزاء.

وقد قال ﷺ في أوائل تفسيره لسورة يس: «فكل خير عمل به أحد من الناس بسبب علم العباد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو علم أو دعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً، أو محلاً من المحلات التي يرتفع بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له».

اللهم فاكتب له ذلك مضاعفاً يا كريم، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، وافصح له في قبره، ونور له فيه، وأنزله الفردوس الأعلى يا رب العالمين، واجمعنا به في جناتلك جنات النعيم.

وقد اعتمد في إخراج هذه الرسالة على نسخة وحيدة، بخط الشيخ عبد العزيز بن صالح بن دامغ ﷺ نقلها من خط الشيخ ﷺ في حياته في 1/ جمادى الثانية/ 1366 هـ، أنتحفني بها منذ سنوات الأستاذ الفاضل
مساعد بن عبد الله السعدي حفظه الله وبارك فيه.

وقد أصيبت بعض صفحات المخطوط برطوبة في الصفحات: التاسعة، والعشيرة، والتاسعة عشرة، والعشرين في طرف كل صفحة بمقدار كلمتين أو ثلاث من كل سطر أدت إلى صعوبة قراءتها في بعض المواضع وتعذرها في مواضع أخرى، فما لم يُمكن قراءته وضعت مكانه نقطاً بين معقوفين، وما استظهره من خلال السياق أُثبتت بين معقوفين، وما تمكن من قراءته أُثبتت دون إشارة، واجتمعت قدر الطاقة في إخراج النص سليمًا كما أراده مؤلفه ﷺ، وقد كان سبب تأخير إخراجه إلى هذا الوقت هو أمل الحصول على النسخة الأصلية التي بُخطت المصنف ﷺ.

وهذا وقد ألحقت في آخر الكتاب منظومة الشيخ رحمه الله تعالى تنشر لأول مرة، جمعت أقسام التوحيد وأمتهات عقائد أهل السنة والجماعة التي انفقت عليها، وعلى التفكير في مخلوقات الله، وآياته الدالة عليه، وعلى أسمائه وصفاته، ومشتملة على التخلق بالأخلاق الجميلة والتنزُّه من الأخلاقي الرذيلة والبحث على العناية بذكر الله في كل حين مع بيان ثمار الذكر العظيمة وآثاره الجليلة إلى غير ذلك من الفوائد السنية والتحف البهية في خمسة
وستين بيتاً، بنظم جميل وأسلوب شيق ونصح عظيم في بيان المنهج الحق والمسلك القويم الذي ينبغي أن يكون عليه من يريد لنفسه طريق السعادة وسبيل الفوز والنجاح، نظمها ﷺ قبل عام 1336 هـ، وقد قابلتها على نسختين خطتيتين تفضل أحفاد الشيخ ﷺ ببعثها إلي، ولي عليها شرح أوضحته فيه مضمونها وذكرت فيه ما بين النسختين من فروقات أسأل الله أن يتمه، كما أسأله سبحانه أن يجزي ناظمها خير الجزاء وأن يفع بها إبنه سمعه مجيب.

وأسأل الله أن يشيب أبناء الشَّيخ الأوَفِياء على حرصهم على علوم والدهم، وأن يغفر للشيخ ويرحمه، وأن يجزيه عن الدين وحامليه وعن العلم وذويه خير الجزاء بماشه - سبحانه - وكرمه.

وصلبي الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كما وكتبه

عبد الزمان بن عبد المحسن البدر
المدينة النبوية
في 1432/2/12 هـ.
لا ينبغي النظر إلى الأحكام للأمور العرفية على أساس القاعدة الرسمية، بل على أساس القاعدة الأولي. فالقاعدة الرسمية تشير إلى عادة المرجع، والاستعارة إليها كواحدة.

هذه العادة كواحدة، وهي الفقه العام، فهي تشمل جميع الأحوال.

وقد كافحت هذه العادة عبر عدة عقود من الزمن، وعندما جاءت على سطحها، والواقع هو أن القاعدة الأولي، التي تشير إلى الفقه العام، هي التي تشمل جميع الأحوال، والواقعي أن هذه القاعدة، التي تشير إلى الفقه العام، هي التي تشمل جميع الأحوال.

ولم يأت أحد بعد ذلك، وعندما جاءت على سطحها، والمما يشير إلى الفقه العام، هي التي تشمل جميع الأحوال، والواقعي أن هذه القاعدة، التي تشير إلى الفقه العام، هي التي تشمل جميع الأحوال.

وفيما يتجلى من القاعدة الفقهية، فإنها تشمل جميع الأحوال.
Aceptar
يَسْمَعْ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الحَمَّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِكٌ يَوْمِ الْيَومِ إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعْبِدُ أَهْدَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَهُ عِرْبَى المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَضْفَانِينَ ۖ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ ومن تَعْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْذَّيْنِ. ۚ هَذِهُ قَوَاعِدُ وَأَصُولُ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ دِينِ الإِسْلَامُ.
القاعدة الأولى

الذين كلهم مبنيًا على عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده

كما صرحت به هذه السورة الكريمة، وفي القرآن.

الجميع بين هذين الأمرين في مواضع متعددة، كقوله:

وفي الأحاديث عن النبي ﷺ من هذا شيء كثير، كقوله: "اخترَ علَى ما ينفعك، واستعن بالله" (1)، "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" (2).

وبتتيم العبد لعبادة الله واستعانته به تكمل أموره.

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقمه (2024) من حديث أبي هريرة.

(2) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقمه (2518) من حديث عبد الله بن عباس، وصححه الألباني في "مفسكاه المصباح" برقمه (5302).
الدَّينيَّة والذُّنوبِيَّة، فِعَبَادَة اللهِ: أُنِّي يقوم العبد بتوحيد الله، وعبوديَّته الظَّاهرَةُ والباطِنةُ، المالِيَّةُ والبدنِيَّةُ، والمركِّبَةُ منهما، المتعلِّقةٌ بِحَوْلَاتِ اللهِ تَعَالَى، والمتعلِّقةَ بِحَوْلَاتِ خَلَقِهِ، وَمِنْ ذُلِك الْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ الكَلِّيَّةِ الْتَأْفِعَةِ لِلْمُسْلِمِينَ. في دِينِهِم ودِينِهِم، ويَكْونُ هَذَا الْقِيَامُ مَصْحَوْبًا بِثَلَاثِ أَمْوَرٍ:
- قُوَّةُ الْجَدِّ وَالْعَاجِهِدُ بِحَسْبِ مَا يَسْتَطِيعُهُ العَبْدِ.
- وْقُوَّةُ الْاِعْتِمَادِ عَلَى اللهِ فِي تَسِيرِ ذُلِكِ الْأَمَرِ الَّذِي يَحَاَلَوْهُ الْعَبِيدُ مَعَ الْفَقْهِ الثَّامِنَةِ بِاللهِ فِي تَسِيرِهِ.
- وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لِللهِ; بِحَبْطَة لَا يَكُونُ الحَامِلُ لِهِ عَلَى ذُلِكَ غَرْضٌ، وَلَا قَصْدٌ مِرَاعَةُ الْبَنَاسِ، وَسِمَعْهُمْ، وَلَا عَصِيبَةٌ وَطَنِيَّةٌ أَوْ قُوْمِيَّةٌ أَوْ جَنْسِيَّةٌ; بِلِ لِلَّهِ لَعَلَّهُ إِرَادَةُ رُضَا اللهِ، وَحُصُولُ ثُوابِهِ، وَمِنْ تَوَابِهِ: مَا يَتَرْتِبُ عَلَيْهِ مِنْ المَصَالِحِ الْتَأْفِعَةِ.

وَبِهِذَا الْمَعْنِيُّ الْكَلِّيُّ العَظِيمُ يِتَّضُحُ لَنَا أَنَّ الْقِيَامَ بِجَمِيعِ الْأَسَابِبِ الْتَأْفِعَةِ، وَالْقِيَامَ بِهَا يَتَسَلَّمُ وَيَكْمِلُهَا هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَدْخِلُ فِي هذِهِ الْقَاعَةِ؛ فِإِنَّ الْقِيَامَ بِهَا عِبَادَةُ اللهِ، وَوَسِيلةُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، فَكَمَا يَدْخِلُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، مَا أَعَانَ عَلَيْهَا مِنْ السَّعِيِّ وَالْمَشْيِ، وَالْرُّكْبِ إِلَى الْعِبَاداتِ، فَيَدْخِلُ فِيهَا اَكْتِسَابٌ الأَموَالِ مِنْ حَلَّةِ الْقِيَامِ بِالْرَّكْوَاتِ.
وواجب النَّفقات، (٢٨١) ولقيام الأعمال النَّافعة التي لا تقوم إلا بالآنام.
ويدخل فيها أيضاً تعليم الفنون والصناعات العصريَّة، والاختراعات التي فيها استعداد المسلمين لمقاومة أعدائهم، وللسلامة من شرورهم، وذلك بحسب المستطاع.
فكلاً ما يستطيعه المسلمون من إعداد القوَّة العقلية والصناعية والسياسية والفنون العسكريَّة وما أشبه ذلك؛ فإنه يدخل في عبادة الله فيما يعين عليها؛ فإن الجهاد الذي هو بذل الجهاد في مقاومة الأعداء من أجل العبادات؛ فما يعين عليه فإنه منه.
فبهذا يعلم أن المسلمين بالمعنى الحقيقي أكمل الخلق في فعل الأسباب النَّافعة؛ لأنهم يبدون فيها مقدورهم، مستعينين بالله في حصولها، وفي تكملتها، وفيما لا يقدرون عليه منها، وفي إنجاح أعمالهم، وحصول مقاصدهم. فليس بعد هذا الكمال الذي حتَّ عليه الذين الإسلامي كمال، ولا فوته مرتقي؛ حيث يموه

(١) يشير هذا الرقم الذي بين معقوفين إلى بداية الصفحة في النسخة الخطية.
الدعاء إلى الإلحاد أن الدين الإسلامي يثبت العاملين، ويضعيف نفوسهم، وهذا من المكابر والتجري والكذب.

فإنما تبين أن الدين الإسلامي الصحيح يبحث على القيام بالأسباب النافعة، ويبعد لله والعزائم بالاستعانة
بهمها، والثقة به في تكملتها ونجاحها، فكم في الكتاب والسنة من الأمر يفعل الخيرات، وترك المكادر،
والأخذ بجميع الأسباب النافعة.

فأعلم أن ههنا طريقين ذهابين منحرفين في الأسباب، يقرأ الدين منهما كل البراءة:

* أحدهما: مذهب الجبرية القائلين بأن العبد مجبور
على أفعاله، وأن حركاته الاختيارية حركات اضطرارية،
بمنزلة حركات الأشجار، وأن الأسباب لا تأثير لها في
مسبباتها، وأن الله يخلق عندها لا بها، ويوجد الأشياء
باقترانها عادة، لا أنها طريق ووسيلة إلى مقاصدها.

وهذا المذهب باطل، شرعاً وعقلاً:

أما شرعاً؛ فإن الكتاب والسنة مملوءان من ذكر
إضافة الأعمال للعاملين؛ خيرها وشرها، وأنهم هم الذين
يفعلونها طوعاً واختياراً، لا قسراً واضطراراً [33].
ومملاًً من ذكر أن الأسباب بها حصول مقاصدها، وهي الطريقة الوحيد لسعادة الدنيا والآخرة، وأن الكسل عنها موجب للحرمان، والضَّعَف فيها داع إلى الخسران، كما تقدم أن الشَّرع يبحث عليها غاية الحث، مع الاستعانة بالله عليها.

وأما بطلان هذا القول عقلاً، فلا أنّه من المعلوم بالضرورة أن أعمال العباد، بل والحيوانات، تقع باختيارهم وإرادتهم، إن شاءوا أرادوا وفعلوا، وإن أرادوا تركوا، وأن له لولا أن العباد تقع أعمالهم طوع اختيارهم لَمَا كان للأوامر الشرعية والعرفية فائدة، فكيف يُؤمر ويجّه الخطاب إلى مَن لا قدرة له على أفعاله؟! وكيف يُوجّه النَّهَي واللَّوم على مَن لا يقدر على ترك النُّواهي؟! فهذا معلوم فساده بالضرورة من الشَّرع، وبِذاهة العقل.

* وأعظم منه بطلاناً وأشد فسادًا: مذهب الطَّبَاعيِّين في الأسباب، الذين يرون الأسباب جارية على مقتضى الطَّبِيعة ونظام الكون، وأنها لا تتعلق لها بقضاء الله وقُدرِه، وأن الله لا يقدر على تغييرها ولا منها ولا إعانتها.

وأهل هذا المذهب معروفون بالخروج عن ديانات
الرسول كلهم؛ لأن هذا القول الخبيث مبنيٌّ [على] (1) نفي الإيمان بالله، ونفي روبيته، والرب في الحقيقة عند هؤلاء هي الطبيعة، فهي التي تتفاعل وتطور وتحدث الأشياء كلها.

فهولاء الملحدون لا يثبتون الله أفعالاً، ولا يثبتون أنّه يثبت الطّائعين بالنّعم والكرامات في الدنيا والآخرة، ولا يعاقب العصّاءين بالنّقم في الدنيا والآخرة، وينفّون معجزات الأنباء الخارقة للغادة كلها، وكرامات الأولياء، ويقولون: مَّا هِيَ إِلَّا حَيَاةٌ أَلِذّيَا نُمْوُ وَيَتَّجُهُ [الجاثية: 24].

وهوذا المذهب الذي هو أبطل المذاهب الذي تنزه عنه اليهود والنصارى وكثير من المشركين فضلاً عن الدين الإسلامي قد اغتبر به بعض الكُتاب العصريين، وأرادوا من سفاهم وجراءاتهم العظيمة أن ينسبوه إلى دين الإسلام.

ودين الإسلام وسائر الأديان بريئة من هذا القول الخبيث، فهو في شقيق، وأديان الرسول في شقيق آخر، الرسول والشرائع تثبت ربوبية الله وأفعاله، وقضاءه وقدره [4] وانقياد العالم العلوي والسُطي لإرادة الله وقدره، وهؤلاء ينكرن ذلك، والرسول والشرائع تثبت أن الأسباب

(1) زيادة يقتضيها السياق.
والمسبِّبات محلٌ حكمة الله، وأنَّ الله قد جعلها على نظام حكيم، دال على كمال حكمة الله، وانتظام أمر الدنيا والآخرة، وأنَّه لا يمكن أحداً أن يغيّر سنن الله، ولا يحوّلها، ومع هذا فإنّها تابعة لمشيئة الله وإرادته، لا يستقلُّ سبَّبٌ منها إلَّا بإعانته، وقد يمنع بعض الأسباب، ويغيّر بعض الأسباب لِيُرِي عبادَه أنَّه هو المتصَّرف المطلق.

فقد أوقع الله الأحَزَّات الخارِقة بالمكذِّبين بالرُّسَل، وأكرَّم أنبيائه وأولياءه بالنجاة في الدنيا والآخرة، فأهلَك قوم نوح بالطفُوفان، ونجّى نوحًا ومن معه من المؤمنين، وجعل النَّار بِرداً وسلاماً على إبراهيم، وأعطى موسى من الآيات كالحيَّة والعصا وقُلْقِل البحر؛ ما فيه أكبر عبارة بأنَّه المتحصِّر المطلق، وجعل عيسى يُبرئ الأكيم والأبرص ويجيي الموتى بإذنه.

وأعطي محمَّداً من الكرامات والخوارق الكونية ما لم يعط أحداً من الرُّسَل، فانشقَّ له القمر، وسلَّم عليه الشَّجر والحجر، ونعَّم الماء من بين أصابعه، واستقى الخلق الكثير من الماء القليل، وأشبع الخلق العظيم من الطعام اليسير، وأبرأ الله بدعوته أمراًًا كثيراً كثيرة، وأنزل الله الغيث بدعوته في قضايا كثيرة، وعصمه الله من النّاس، ونصره في
مواطن كثيرة نصرًا خارقاً للعادة، ونصر الله أمته في مواطن كثيرة، وأكرم الله الرسول والأوليان في أمور خارقة للعادة.

وهذه الأمور كلهَا مما ينكرها أهل هذا المذهب الخبيث، فعلم أنه منافٍ للإيمان بالرسول من كل وجه، وأن من زعم أنه يبقى مع صاحبه من الإيمان شيء فهو مغروه مُكاَباً.

وأمام بطلانه عقلاً وفطرة؛ فإن العقلاء كلهُم مطبقون على انتقاد العالم الغلوي والشعلي إلى إرادة الله وقدره.

ولم ينكر ذلك أحدٌ إلا من جحد الله ولم يثبت وجوده.

وهؤلاء قد علم أن عقولهم قد مارجت، وأنكروا الأمور المحسوسَة التي لا يزال الله يريها عباده في جميع الأوقات.

ومن فروع هذا المذهب [٥] الإنكار بأن الله ينذد المضطرين، ويجيب دعوات الدعاءين، ويغيب اللَّهُفات، ويكشف الكربات، وإنما هي عنهم الأسباب تتفاصل وتتغلَّب، فجحدوا ما علمن بالضرورة من شرائع الأنبياء، وما أقرَّت به الخليقة واعترفوا به، وفطروا عليه، وبذلك حكموا لأنفسهم بمفارةقة العقل والذين.

ومن فروع ذلك إنكارُ قصة آدم وإهباته إلى الأرض،
وَخَلَقَ اللهَ إِيَاهُ وإِيَاهَهُ إليهِ، وَجَمِيعٌ مَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ قَضَّةً مَعَ زُوْجِهِ وَمَعِ إِبْلِيسَ، وَإِنْكَارُ أَنْهَا أَوْلَىٰ الأَنْسَانِ، وَزَعمُوا أَنَّ الأَنْسَانَ فِي أَوْلَىٰ آمِرَهُ مُكَتْبٌ مِّنْ مَدَةٍ طَوِيلَةٍ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَعْبُرُ عَمَّا فِي ضَمْيِهِ، ثُمَّ اِنْتَقَلَ مِنْ ذُلُكَ الطُّورُ البَهْيِمِي إِلَى طُورِ الإِشَارَاتِ، دُونَ التَكَلُّمِ بِالْلُّغَاتِ، ثُمَّ مُكَتْبٌ مَا شَاءَتْ الطَّبِيِّعَةُ، لَا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَتَطَوَّرَ وَصَارَ يَتَكَلَّمُ، فَجُزِّدَوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَنَزَّلَتْ بِهِ الْكِتَابُ، وَأَتَبَعُوا مَا تَحْرُّصَهُ الْمُعْطَّلُونُ المُلْحَدُونُ لَذِينَ بَنَّوا نَظَرِيَّاتِهِمْ إِلَى تَخْرُصَاتٍ لَا تَنْبِيِّقُ عَلَى الْعَلَومِ المَعْقُولَةِ وَلَا الْعَلَومِ المَحْسُوسةِ.

وَمِنْ فَرُوعِ هَذَا الْمَذْهَبِ الْخَبِيثِ أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ لَمْ يَزْلِ ولَا يَزْلُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْيِرْهُ ولَا يَنْقُلُ الْعَبَادُ مِنْ هَذَا الْمَدَارِ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ، فَأَنْكَرَوا مَقْصُودٍ مَا جَاءَتْ بِهِ الْكِتَابُ السَّمَاوِيَةُ، وَالرُّسُلُ الْكَرَامُ، وَمَا دُلْتُ عَلَى الأَدْلَةِ العَقْلِيَّةِ الصَّرِيحَةُ، الَّيْلَا تَقْبِلُ رَبِّاً وَلَا إِشْكَالًا؛ فَإِنَّ الطَّبِيُّعَةَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَهُوَ الْأَلْيَامُ الَّذِي خَلَقَهَا، وَطَبَعَهَا، وَدَبَّرَهَا، وَسَخَرَهَا، فَتُبْيِئُهَا لَمَنْ جَعَلَهَا رَبِّهْ وَإِلَهَهُ، وَهُوَ يُبِنِّى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي الْأَنفَسِ أَكْبَرَ الأَدْلَةِ الْبَراَحِيْنِ عَلَى رُبُوبِيَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْمَوَجْوُدَاتِ مَنْقَدَةً لِإِرَادَتِهِ، مَسْرَفَةً بَقِدرَتِهِ.
فبهذه التفصيل يتضح أن هذا القول الأخير ليس مذهبًا لأحد من المعترفين بالأديان، وإنما هو مأخوذ عن زنادقة الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وأن الله لا يقدر على شيء، ولا يعلم شيئاً من الجزيئات، ومذهب هؤلاء معروف أنهم لا يصدقون برسالة أحد من الرسل، ولا يقرُون بشيء من الكتب.

وأمام المذهب الذي حكيناه [٢] عن الجبرية فمع بطلانه فأهله أحسن بكثير كثير من أولئك، فإنهم ينتسبون إلى الدين، ويعظمون الرسول، ولكن غلوا في القضاة والقدر، فسلبوا العبد قدرته ضلالاً منهم وعجلاً، مع إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لكنهم سلطوا أعداء الرسول على المسلمين، حيث نسبوا مذهبهم للذين والذين بريء منه، فحمل عليهم الفلاسفة وسفهوا رأيهم في هذا، وظنوا أنهم بذلك انتصروا على الدين، ولكن الذين الحقيقي يخطئ هؤلاء وضللهم، ويبحث العباد على القيام بالأسباب النافعة في الدين والذنبا، ويحضُّهم على الاجتهاد فيها، وعلى الاستعانة بالله وبحوله وقوته.

وذلك الذين الحقيقي والعقل الصحيح يخبر أن ضلال هؤلاء الفلاسفة المعطلين في الأسباب أفيظ من
ضلال الجبرية، حيث جعلوا الأسباب مستقلة منقطعة عن قضاء الله وقدره، وأنكروا الأصول السابقة العظيمة لهذا الأصل القبيح.
القاعدة الثالثة

الذين الحق هو ما جاء به الرسول من كتاب الله وسنة رسوله

وهذا الأصل الكبير الذي صرح به الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: "أَيُّهُمَا أُوجِرَ إِلَيْكُمْ مِنَ الكُلِّيَّةِ" (العنكبوت: 45)، و"أَنْبَعِيْلَوْا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُمْ وَزَيَّكَ وَلَا تَبَيَّنْوَا مِنْ دُونِهِ أَوْلَیَّةً" (الأعراف: 3)، و"وَمَا عَلَّمَ الرَّسُولُ فَحْدَّوْهُ وَمَا تَهْكَمْ عَنْهُ فَانْهَأْكُم" (الحجر: 7)، "أَنْبَعَ مَا أُوجِرَ إِلَيْكُمْ مِنْ زَيْكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَمْعِرَ عَنِ النَّشْرِيْنَ (الأنعام)، و"فَفَيْنَ أَنْبَعَ هَذَا فَلَا يَضَلْ وَلَا يَشْقَى" ومن أُعْرِضْ عَنْ ذَكْرِيْنِ فَإِنَّ لَهُ مَعْبِدَةً صَالِحَةً (طهد)، "لَقَدْ مِنَ الَّذِينَ كَانَ مُؤْمِنَ الَّذِينَ إِذْ بَعْثْنَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَيْمَنِهِمْ يَبْشِرُونَهُمْ بِآيَاتِهِ وَيُحِيُّونَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمُحْيَةَ وَإِنَّ كَانُوا مِنَ الْقَبْلِ لَفَيْ صَلَالِ مُهَيْنِقَ (آل عمران)، "فَقْلُ صَدَقُ اللَّهُ" (آل عمران: 95)، و"فَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ أَصْدَقَ مِنْ اللَّهِ حَسَنًا" (النساء)، و"فَمَنْ أَصْدَقْ مِنْ أَصْدَقَ مِنْ اللَّهِ قِيَلَا (النساء)، و"أَطْعِمُوا اللَّهَ
فهذه الآيات الكريمات وأضعافها وأضعافُ أضعافِها
دَلَّت دلائل صريحة أنَّه يتعين على الخلق اتباع ما أنزل الله
على رسوله من الكتاب والحكمة، وأن الهدي والفلاح
والسعادة والنجاة في الدنيا والأخرة في اتباع ذلك، وأن
في ضد ذلك الضلال والهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة،
وأأن الضَّرَاط المستقيم الذي من سلكه في عقائده وأقواله
وأفعاله وشؤونه الدُّينيَّة والدُّنيويَّة هو سبيل الله الذي شرعه
على لسان رسوله محمد ﷺ من الإخبارات والأوامر
والنواهي، وأن وظيفة المكلفين أن يصدقو كل ما أخبر الله
به ورسوله، ويطيعوا الله ورسوله في امتثال الأمر واجتناب
النَّهي، وأن السَّعادة والنجاة في هذا التصديق وهذه
الطاعة، والشقاء والعذاب في تكذيب الأخبار والتَّولى عن
الأمر والنَّهي، وأن من أمن وعمل صالحاً وسلك طريق
الرسول فهو من أولياء الله وحبيبه، ومن لم يؤمن بالله
ورسوله ويعمل صالحاً فهو من أعدائه وحريبه، وأنه يتعين
سلوك طريق المنبيبين إلى الله في ظاهرهم وباطنهم،
لا طريق الغافلين ولا المعرضين والمعارضين الصادقين عن
سبيل الله.

فهذه النصوص ونحوها صريحة أنه يجب أن يكون
الأصل الذي إليه مرجع المكلفين كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأن جميع المقالات والأحوار والأعمال والعلوم توزن بهذا الأصل، فما وافقه فهو الحق والصدق والصواب، وما خالفه ونافضه فهو الضلال والشقاء، وأن من جعل كلام أعداء الرسول هو الأصل، وغيره ما وافقه قبله وما خالفه رفضه؛ فهو محاد لرسول الله، منابذ لدين الله، وأن في مقدمة هؤلاء الملحدين من دعوا إلى رفض كل قديم، وجعلوه سلما لهم وطريقا لرفض الدين وعلومه وأعماله، وأن هذه دعاية إلحادية القصد منها الدعاية إلى نبذ الدين، واعتناق طريق [8] الملحدين.

وأن أهل العقول الصحيحة والأئلباب السليمة هم الذين يدعون إلى رفض الشرور والفساد وأنواع الظلم وإلى الحث على الخير والصلاح والإصلاح.

فهذا هو الأصل الذي يوافق عليه جميع العقلاة - أهل الأديان وغيرهم - وحيث كان هذا هو الميزان الذي لا يمكن كل أحد إلا الاعتراف به حتى المنصفين من الأجانب.

فعلينا وعلى الخلق كلهم أن يعرضوا القديم والحديث على هذا الأصل الجليل، وحيث عرض على
هذا الأصل القديم والحديث وجد ما دل عليه الكتاب والسنة هو الخير وهو الهدى والسعادة لأنه يدعو إلى الخير. قال تعالى: "ولتكن منكم أمهات يذكرون إلى الخير" [آل عمران: 40]، "إِنَّا لَنَضْعِبُ أَحَدَ الْمُضَلِّعِينَ" [الأعراف: 17]، "إِنَّ الْيَوْمَ الْيَوْمَ مَا أَسْتَطَفْعُوهُ "[البقرة: 277]، "إِنَّ أَرْمَيْدُ إِلَّا الْإِلْطَلَّاصُ مَا أَسْتَطَفْعُوهُ "[هود: 88]، "يَهِيَّنَ عَنِ الْفُحْشَا "[النساء: 34]، "وَالْبَيْكَرِ وَالْبِيْغَيَّ "[النحل: 90]، "وَالَّذِي لا يَصْلُحُ عَمَّالَ الْمُفْسِدِينَ "[البقرة: 99]، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلُحُ عَمَّالَ الْمُفْسِدِينَ "[يونس]، فما تُمَّ صلاح وخير وفع ديني ودبيو إلاأ والكتاب والسنة قد حث عليه ورغب فيه وبي الطريقة الموصلة إليه حتى الفنون والأدوات والصناعات الحادثة التي فيها فنفع للعباد وتقيهم من الشرور والفساد، وما من شر وضر وفساد إلاأ وقد نهى الدين الإسلامي عنه سواء كان ذلك متقيداً أو متأخرًا.

وأمام تعنت الملحدين المادييين بوجوب رفض القديم مطلقاً واعتناق الجديد مطلقاً، فهذا أصل لا يمكن أن يوافق عليه أحد من العقلاء لأن القديم منه طيب وخبيث والجديد منه طيب وخبث، فالطيب يجب قبوله مطلقاً

(1) في الأصل: (وإن الله يحب المصلحين).
والحقيقة يجب رفضه مطلقًا، والطبيب الذي في الحديث، إنما استفيد مما دل عليه القديم من علوم وأخلاق وأعمال، فأصل الخير ومنبعه ما جاءت به الرسول ونزلت به الكتب. ويقال لأهل هذه الدعاء الخبيثة: هذه دعاء لا يمكن أن يوافق عليها أحد، حتي أنتم لا توافقون عليها!! فإذنكم تقبلون ما نقلتم عن أمتككم وتحثون على ذلك سواء كانوا من القُدماء أو من الآخرين، فأصل لا يوافق عليه أحد من الخلق يجب أن نرفعه، وأن نرجع إلى الأصول الدينية والأصول العقلية [1].

أما الأصول الدينية فقد أرينكم بعض ما دل عليه أشرف الكتب وهو القرآن بوجوب اتباع كتاب الله وما دل عليه ما جاء عن رسول الله وأنه الخير والحق والهدى وما سواء شر وضلال وشقاء.

وأما الأصول العقلية فهلم فلننحاكم إلى هذه الأصول التي لا يمكن عاقل أن يقبح بها، ومن قدح فيها فهو مكابر:

ننحاكم إلى الطبيب والحقيقة، فكل طبيب من العقائد والأخلاق والأعمال والمقاصد والوسائل فعليها أن نقبله، وكل حبيث من ذلك فعليها أن نرفعه.
وهلَّم فلنتحاكم إلى الخير والصلح والإصلاح وإلى الشر والفساد، فكلِّ خير وصلاح وإصلاح فعلينا أن نقبله، وكلِّ شرٍ وفساد فعلينا أن نتركه.

هلَّم فلنتحاكم إلى ما يرقي الخلق ويغلبهم في دينهم ودنياهم، وإلى ما ينزلُهم ويحلل أخلاقهم وآدابهم في دينهم ودنياهم، فنقبل الأوَّل ونرفض الثاني.

هلَّم فلنتحاكم إلى ما فيه نفع ديني ودنيوي؛ نفع حقيقي فتقبه، وما فيه ضرر ديني ودنيوي فنرفضه.

هلَّم فلنتحاكم إلى ما آثاره جليلة وعواقبه حميدة في الدنيا والآخرة فتقبه وتقبل عليه، وإلى ما آثاره ذميمة وعواقبه وخيمة فندعه ونرفضه.

هلَّم فلنتحاكم إلى العدل وأداء الحقوق في حقوق الله وحقوق عباده فتقبه وندعو إليه، وإلى الظلم وعدم أداء الحقوق الواجبة فندعه ونتركه.

فهذه الأصول العقلية الشرعية وما أشبهها لا يدعى أحد للتحاكم إليها [فيأتي إلا دلنا] على سفاهته وحمقه ومكابرته، فالذين الإسلامي لا يأتي التحاكم في [علومه] وأخلاقه وأعماله وآدابه كلها إلى قضايا العقول التي يتفق العقلاء على [صحتها وسلامتها]؛ بل هو الذي دعا الخلق
إليها وحثهم عليها، فكيف يأبه أن يحاكم إلى ما [تقتضيه] أصوله وأسسه؟! وأما إطلاق المحاكمة إلى القديم والحديث فهذا كما تقدم لا يوافق عليه هؤلاء؛ لأنها قضية مختلة متزعزعة عند الناسرين لها لأنهم يتناقضون [في رفض] القديم والرد له، وفي قبول كل حديث؛ فمنه أشياء يقبلونها ومنه أشياء يرفضونها من وجه [10] دال على فسادها من أنفسهم وحججهم، ووجه آخر: وهو أنهم إذا كانوا يرفضون القديم، ويرغبون بالجديد، فهذه قضية أولئك من يحتظون بإباحتها واصفوها، وذلك أنهم إذا أمسوا لهم أموراً يجرونها ويرونها هي الحق الذي يجب تقديمه ونصره، فإنَّه إذا جاء من بعدهم، فإمَّا أن يتبعوا ما أسسه الأولون، فينتقض أصلهم، وتصبر الأمور الحادثة عند النشاء الحديث لا يعبأ بها، وإنَّما يحافظ على ما قاله الأولون، وهذا بعينه أكبر برهان على نفيها، وإن تسلسلت هذه القاعدة عند النشاء الذي بعدهم فيوجب رفض ما قاله هؤلاء، واعتقاد الأمور المتجددة لم يثبت بأيدي الناس حتى يكون له الأثبات، بل ما أثبته هؤلاء نفاه الآخرون، وما نفاه هؤلاء أثبته الآخرون، فصاروا في أمر مريح، متهاافت مختل الأصول والفروع. هذا من جهة ميزان هذه القضية الجائرة في عقول قائلها.
وأمّا وزنها في الشُرائع الدينية وفي العقول الصحيحة فهي أرّذل وأخْس من أن يقام لها وزن وإنما هي أقوال صدرت من صفهاء الأحلام، ضعفاء العقول، أرادوا بها التمويه على الأغرار [الذين لا قلب لهم] يستفتنون ولا أباب صحية يزرون بها الأمور والقضايا، وإنما الموازين التي لا يقدح فيها أحد من العقلاء فتلقى الأصول التي أشرنا لها وما أشبهها فهي التي من قالها صدق قوله، ومن حكم بها عدل حكمه، ومن استقام عليها هدي إلى صراط مستقيم، وهي الأصول التي لا يمكن نقضها، وجري مع الزمان والأحوال، لا تتغير لأنها حقائق ثابتة صالحة للخلية، موضوعة لنفعهم.

أمّا المسلمون فليس عندهم أدنى ريب بأنّ دينهم هو الحقٌ الذي لا تعرف الحقائق إلاّ به، وهو الدّين الذي رسم للخلق حقائق الأشياء ودلّهم عليها، وأرشدهم إلى منافعها، ولا يستفتيون أن جميع أصول دينهم وفروعة وظاهره وباطنه إذا وُزنت بتلك الموازين الصحيحة ظهر نورُها وجلالُها وكمالُها، ووجوبٌ [11] تقديمها على كلّ شيء.

وأمّا المنحرفون عن الدّين فربما يصير عندهم في هُذا المقام مغالطات، ويذّعون دعوى مجرَدة عن البرهان
أنَّ مذاهبهما هي الموافقة لتلك الأصول، فعند ذلك يقال:
(كَيْفَأَنَّكُمْ تَعْرَجُونَ إِلَى الْمَيْتَى) [البقرة]،
وبينا الطريق التي يعرف بها ما أدعتم، ونحن نعلم علماً
مبنياً على البراهين والحقائق أنه ليس لهم طريق صحيح
إلى تحقيق كل قول ناذوا به الدين.

ثم نقول على طريق التنزيل في مقام المناظرة: إنَّ
الدعاوى إذا تعارضت والأقوال إذا تناقضت فعدنا حكمان
عدلان: الدين الإسلامي، والعقل الصحيح.

أما الأول: فإن كان المجادل بالباطل يدعى أنه مسلم
فإنّه يقال له: المسلم بإجماع المسلمين لا يصير مسليماً
حتى يقذم ما جاء به الرسول من كتاب الله وسنّة رسوله
على ما قاله الناس، فهل نحن أن نتبع ما جاء في الكتاب
والسننة، وما أشكل عليك هل هو موافق أو معارض؟-
وضمنا لك من أدلة الشريعة ما يوجب لك الرضوخ
والانقياد النتام، وربما كان فهمك قاصراً عن دلالات
النصوص فيبيين له دخول جميع المنافع والمصالح في
نصوص الشرع، فإن انتقاد لذلك فهو مسلم، ويسير طريق
العقل مؤيداً لطريق الدين والعقل.
أُؤْلِع عَظِيمَةَ مِنْ قُوَاعِدِ الإِسْلَامِ

أما الدِّينِ فإنه يُبيِّن له الأدَّةِ والبراَحين العظيمة التي لا تقاوِم ولا تصادم على نبأة محمد ﷺ، وعلى الوعي الذي جاء به من عند الله، وهي أدلة في أعلى ما يكون من القوة والوضوح والكثرة، وأيات نبوته وبراهمينها متنوعة؛ أخلاقه العظيمة التي أقسم الله بها بقوله: {وَأَنَّكَ لَقَلِّ حُقُقٍ عَظِيمِ} [القلم]، بحيث إذا وضعت بعضها عرف أنه لا كان ولا يكون أحد من عظماء الرجال يدانيه في الخلق والفضل والخصائص الحميدة التي يستحسن معها أن يكون متقوِّلاً، بل تدل على أنه أصدق الخلق وأبرهيم وأثنى في كل فضل وكمال، وما أمر به ونى عنه وشرعه فإنه محكم منتظم، لا يأمر إلا بكل معلوم شرعاً وعقلاً، ولا ينهى إلا عن كل منكر شرعاً وعقلاً، لا تجد في أحكامه اختلافاً ولا سـفاً وعبثاً ومنافاة للحكم.

والقرآن العظيم الذي جاء به من عند الله فيه تبيان كل شيء، وهدى ورحمة، وفيه العلم والحقائق العظيمة وما لا يمكن أن يأتي [12] عليه الوصف، لا يمكن أن يأتي علم صحيح ينقض ما جاء به بوجه من الوجه، {لا يأتيه البطلون من بني يديه وليا من خليفة} من حكيّم جليل {فضّلت}، فيه علوم الأولين والآخرين.
فمجرد نظر المنصف إلى ما جَبَلَ الله رَسُوله عليه من الأخلاق، وإلى أحكام دينه وكماه، وإلى عظمة القرآن وما احتوى عليه من المعجزات يضطره إلى تصديقه وإلى الخُضوع لديه وشرعه.

وإذا علم أنَّه رسول الله، وأنَّه الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، عين قبول ما جاء به وأن يكون هو الأصل الذي تعرض عليه الأقوال والمذاهب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فهو الباطل؛ لأنَّه إذا علم أنَّه رسول الله حقًا كان ما جاء به حقًا لا يمكن أن يعارض الحق، فَمَا دَأَ أُلْهَقَ إِلَّا أَلْحَقَّ الَّذِي نَسْئَلُو [يونس: 32].

فإن أبي المانظر الانقياد إلى شيء مما تقدَّم فعلى وجه التنزُّل في المناظرة الدَّال على غاية الإنصاف وإقتاع الخصم، فهَلَمَّ إلى التَّحَاكَم إلى العقول الحرَّة المعروفة بالاعتدال، التي لم تلتوَّث بالتعصُّبات ولا بالفُصُود الفاسدة والأغراض السِّيَّة، التي ليس لها قصد إلا طلب الحقيقة والتَّسليم للحقائق.

ولا يستريب من وقف على أصول الدين وتعاليمه العالية والأخلاق السَّامِية والآداب الرَّفيعة أنَّه هو الذي يكفل سعادة الدُّنيا الحقيقية التي تعدُّ سعادة، كما كان
كفيلاً بسعادة الآخريّة، ولا يعرف ذلّك حقّ المعرفة إلا من تتبع الحقائق الدّينيّة وما تسمى إليه من رقّي القلب والأرواح والأخلاق، وما يعین على ذلّك من المادة الماليّة والصناعية والسياسيّة، وما يقوى ذلّك من الأمور المعنوية.

وبذلّك يعرف معرفة على وجه البصيرة التي لا تردد فيها ولا ريب أنّه يعيّن على الخلق اتباع ما أنزل الله عليه رسوله من الكتاب والسنة عقلاً، كما تعين ذلّك شرعاً، وتقدّمت الإشارة إلى بعض ما ذل على ذلّك من النصوص.

وإيّما قالنا ذلّك وتنزلنا هذا التنزّل الذي لا يبقى لمبطله شبهة لأنّه في هذه الأوقات تمّ الإلحاد، وفشت دعايته بين المسلمين، وصار يدعو إليه الأجانب، ويدعو إليه من تسمى بالذين إما نفاقاً وخداعاً وإمّا أن يكون صنيعة [13] لغيره وأجيراً، وإمّا أن يكون ليس له بصيرة، يسمع الناس يقولون شيئًا فقاله، وهذا كثير في أهل الصحف، الذين لا بصيرة لهم في الدّين ولا يبالون بسقوط صحفهم عن الاعتبار الدّيني بل والأدبي.

وبذلّك يرではありません في الظروفة التي شرحناها لم يلّق لدعوته.
معارضاً أصلاً، اللَّهُمَّ إِلَّا لَنْ تَعْرَفُوا بِالمكابِرات وَجِدَّ الحَقَّائقَ والمَغَالِطَاتِ الَّتِي لَا تَسْمَنُ وَلَا تُعْنِي وَلَا تَفْيِدُ شَيْئًا.

ولنذكر صورةً مناظرةً جَرَّت بين رجليين كانَا رفيِقين، وكانَا مُسَلِّمَين يَدِينان بالذَّين الحق عَالماً وَعَمَلاً، فغابَ أحدهما عن صاحبه مدَّةً، ثم التقى، فإذاَ هذا الغائب قد تغيَّرت أحواله وأخلاقه، فسأَلَّه صاحبه عن ذلك، فإذاً هو قد تغلَّبَ عليه دعاية الملحدين الذين يدعون لِنَبَذ الدَّين ورَفض ما جاء به سيد المرسلين، فحاوله صاحبه وطلبه لله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب، فعرف أنَّ هذه عَلَة ومرضَّ تفتقر إلى استئصال الْدَاء وإِنِزال الدَّواءَ على الْدَاءَ، وأَنَّ ذلك متوَقَّف على معرفة الأسباب التي حوْلَته وإِلى تَمْحَيضِها وتخليصها، وتوضيح مربَتَها ومقاَبَتها بما يضادُها ويقمعها.

فقال له مستَكشِفَا قَمَلَه له على ذلك: ما هي يا أخِي الأسباب التي حملتَك على ما أَرَى وما الَّذِي دعَاك إلى نَبِذ ما كنتَ عليه، فإنَّك كان خِيراً كنتَ أنا وأنتَ فيه شريكين، وإنَّا كان غير ذلك، فأعرف من عقلك وأدبك أنتَ لا ترضى أن تقيم على ما يضرُك ويشمر لك الثَّمرات الرَّديئة؟
فقال له: لا أخفيك العلم أنني قد رأيت حالة المسلمين حالة لا يرضاها ذوي الهمم العليّة، رأيتمهم في ذلٍّ وخمولٍ، وأمورهم مدبرة، وأحوالهم سيئة، ورأيتم في الجانب الآخر هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة، وتفننوا في الفنون والمختبرات العجيبة المدهشة، والصناعات المتفوقة، فرأيتمهم قد دانت لهم الأمم، وخضعت لهم الرّقاب، وصاروا يتحكّمون في الأمم الضعيفة بما شاءوا، ويتغذونهم كالعبيد والأجراء وأقل من ذلك، فرأيتم منهم العزّ الذي بُهْرِنِي، والشتّن الذي أدهشني، فقلتُ في نفسي: لولا أن هؤلاء هم القوم، وأنّهم على الحق، والمسلمون على الباطل ما كانوا على هذا الوصف الذي ذكرت لك، فرأيتم أن سلوكي سبيلهم واتّدائي بهم خير لي وأحمد عاقبة. فهذا الذي صيّرني إلى ما رأيت.

فقال له صاحبه حين أُبدي له ما كان مستوراً: إذا كان هذا هو السبب الذي حولك إلى ما أرى، فهذا يا أخي ليس من الأسباب التي ينبغي عليها العقلاء وأولو الألباب عقائدهم وأخلاقيهم وأعمالهم، أمّا تأخر المسلمين فيما ذكرت فليس ذلك من دينهم [14].
وقد علمت وتيقنت أن دين الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح والاستعداد بالقوّة المعنوية والقوّة المادية من كل وجه إلى قوّة المسلمين ومقاومتهم لأعدائهم، وإلى السلامة من كل أضرارهم، وهو لا تزال تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا تنادي أهلها: هلموا إلى جميع الأسباب النافعة التي تعليكم وترقيكم في دينكم ودنياكم، أَفَبَتَفْرِيقَ أَهْلِ الْذِينِ تَحْتَجُّ عَلَى الْذَّينِ؟! أَلْيَس هَذَا التفريق منهم يوجب على أهل البصائر منهم أن يكون خيرهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متصاعفاً لينالوا المقامات الشاخصة ويبعدوا من الهوى العميقة؟ أَلِيِّس القيم التّام والجهاد من أفرض الفروض وألزم اللّوّامز في هذه الحال؟ فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين له فضل عظيم يفوق سائر العبادات.

فكيف إذا كانوا في هذه الحال التي وصفت؛ فإن الجهاد لا يمكن تعبير المعبرين عن فضائله ومناقبه، فإنه في هذه الحال يكون الجهاد قسمين:

* قسم منه فيه تقويم المسلمين وإيقاظ همهم وبعث عزايمهم وتعليمهم العلوم النافعة وتهذيبهم بالأخلاق الرِّاقية، وله هذا أشق التّوّعين وأفضلهما.
وقسم فيه مقاومة الأعداء وإعداد العدد القولية والفعلية والسياسية والداخلية والخارجيّة لمقاومتهم ومنازلتهم في ميادين الحياة.

أفحين صار الأمر على هذا الوصف الذي ذكرت، وصار الموقف حرجاً تتعلّى عن إخوانك المسلمين، وتتخلّف مع الجبناء والمخلّفين، فكيف مع ذلك تنضم إلى حزب المحاربين، لا تكن يا أخي أرذل ممّن قيل فيهم: "إِنَّ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْجَنَّةَ فَلَوْ تَرَى مَا أَفْتَقَرَّتْ فِيهِمْ فَقَالُوا فَتَقَوَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفِعُوا" [آل عمران: 167] قاتلوا لأجل الدين، أو أدفعوا لأجل الرابطة القومية، فأعيذك يا أخي من هذه الحالة التي لا يرضها أهل الديانات ولا أهل التّجادات والمراءات، فهل ترضى أن تشارك قومك في حال عزهم وقوة عددهم وعديدهم، وتفرقهم في حال ذلّهم ومصائبهم، وتخدّعهم في حالة اشتتّت فيها الضرورة إلى نصرة الأولياء وقطع عدوان الأعداء، فهل رأيت يا أخي قوماً خيراً من قومك، ودينَا خيراً من دينك؟

فقال ذلك المنقلب المنصفح: الأمر كما ذكرت لك، ونفسي تنتوق إلى أولئك الأقوام الذين أنقذوا الفنون والصناعات، وألفوا السياسات والحضارات، وترقوا في هذه الحياة.

أتى كها راغباً في حضارات ومدنيّات مبنيّة على الكفر والإلحاد، مؤسّسة على الطمع والجشع وظُلم العباد، فاقدّة لروح الإيمان ورحمته، حضارة ظاهرها مزخرف، وباطنها خراب، وتخالها تعميراً للوجود وهي في الحقيقة مآلها الهلاك والتدمير، ألم تأثارها في هذه الأوقات، وما جلبته للخلق من الهلاك والفناء والآفات.

فهل سمع الخلق منذ أوجودهم الله لهذه المجازر البشرية نظيرًا أو مثيلاً؟! فهل أغنت عنهم مدنيّتهم وحضورتهم من عذاب الله من شيء لمّا جاء أمر ربّك، وما زادتهم غير تتبيب؟! فلا يخدعْنِك يا أخي ما ترى من
المجاور والرَّخرَقة والأقوال الممَوَّهة والدَعاوى الطويلة
العريضة، فانظر إلى مواطن الأشياء ولا تعرَّكن الظواهر،
وتأمل النتائج الوخيمة، فهل أسعدتهم هذه الحضارة في
دنياهم التي لا حياة لهم يرجون غيرها؟! ألم ترهم ينتقلون
من شرٍّ إلى شرور، وأنْهم لا يسكنون في وقتٍ إلاّ وهم
إلى شرور فضيعة يتحفُّرون؟!

ثم هَب أنْهُم مَتَّعوا في حياتهم ومَتَّعوا بالعرَّ
والرِّياضات ومظاهر الحياة، فهل إذا انحرفت إليهم وَوَلَيتهم
يَشِركونك في حياتهم ويجعلونك كأنتِهم؟ كلاً والله؛ إنْهُم
إذا رضْوُوا عنك جعلوك من أخسب خُدَّامهم وأقذر أُجرائهم،
وآية ذلك أنْك في ليلك ونهاك تكدح في خدمتهم، وتتَكَلَّم
وتجادل وتخاصم على حسابهم، ولم نرهم رفعوك حتى
سَأَوا فيك أدنى قومهم وبنى جنسهم، فأنَّهُ يا أخِي في
ذينك، والله يدَه في مروءتك وأخلاقك وأدبك، والله في
بقية رَمْقاك، فالانضمام إلى هؤلاء والله هو الهلاء.

فلما سمع هَذَا الكلام، وتأمل جميع الطرِق
والوسائل التي تَنال بها الأعراض الصحيحة من أولئك
الأقوام، فإذا هي مسدوَدة، عرف أنَّه في محنته هَذَا من
جملة المغرورين، وأنَّ الواجب عليه متابعة الناصحين,
وأنّ الرُّجوع إلى الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة خير من التمادي على الباطل الذي يحتوي على الضَّرر المبين.

فقال لصاحبه: كيف لي بالرجوع وأنّي لي وقد أظهرت الانحياز إلى أولئك [و] النزوع؟.

فقال له صاحبه: ألم تعلم أنّ من أكبر فضائل الإنسان أن يلبس الحق الذي تبيّن له، ويدع ما هو فيه من الباطل، وأن الخطا,error=1 والزَّلل قلّما يسلم منه بشر، ولكن الموقف الذي إذا وقع في المهالك طلب الوسيلة والطريقة إلى كل سبب [16] يخلصه منها، وأنّ من نعمة الله على العبد أن يقيق له النَّاسِحين الذين يرشدونه إلى الخير ويأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر، ويسعون في سعادته وفلاحه، ثُمّ من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم، ولا يتشبه بمن قال الله فيهم: [ولكن لا تَحْبَسُوا النَّاصِئينِ] [الأعراف].

واعلم أنّه ربّما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين، وشاهد ما فيه من الغي والضلالة، ثم تراجع إلى الحق الذي هو حبيب القلوب، ربّما كان أعظم لوقعه، وأكبر لنفعه، فارجع إلى الحق ثابتًا، وثق بوعد الله [إِيَّاهَا اللهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْمُعْفُوَّاتُ] [آل عمران].
قال: الحمد لله الذي أناقذنا بلطفه وحسن عنيته من الهلاك والشقاء، ومن علينا بالسعادة والهدى، فنسأل الله أن يتم نعمته علينا بالثواب على دينه، إنه جواد كريم.

قال الناصح لأخيه لما رأى ما يسره من رجوعه إلى الحق: وأريدك يا أخي ببيان أن هذه المظاهر التي نراها من الكفر قد نثناه الله في كتابه أن لا نغتري بها، فلولا أن تعالى قد علم أنها من طرق الغُرور ووسائل الخداع لما نثناه عليها وأرشدنا وحذرتنا أن نغتري بها، كما قال تعالى: 

(لا يغترنوك تقلب اليمين كفروا في اليكين) مثغ قليل نم مأوههم جهنم ويشين اليهود) [آل عمران] فلا يعرُك تتقلبهم في اليكين [غامِر] الآيات، [فبيئنا لنا] أن هذا الاغتار مصيدة للجاهل، وأن الله أرى عباده من وقائعه وآياته في الأمم الأظالماء ما حصلت به العبرة، وأن من بين أمره ومسالكه على الاغتار بما متعوا به فإنه جاهل، أحمق، عقله قاصر، ونظره قاصر، وأيضًا فقد أخبر تعالى في آيات كثيرة أنه يستدرجهن فيما أعطاهم، فيغترون ويغتري بهم، وهذا هو الواقع منهم ومن تعشق أحوالهم، وأنه تعالى يمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ولسنا ننكر أن الله أعطاهما أسباباً عظيمة تدرك بها
المطالب، لكن هذه الأسباب إن لم تبن على الحق والدين
الحق صار ضرره أكثر من نفعها، هذا بالنظر إلى الحياة
الدنيا، وأمّا في الآخرة فليس لهم في الآخرة من نصيب
ولا خلاقي (1).

(1) وأورد {هُذِه المَنَاذِرَةُ} هذه المناظرة في مجموع الفوائد واقتناع الأواص ص
(155 - 161) بفروق يسيرة في بعض الألفاظ. وطبعت مفردة ببسط
وتوسع بعنوان {انتصار الحق محاورة دينية اجتماعية}، وهي ضمن
المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ { } (2/201 - 420).
الإيمان بالله هو الأصل الذي دعت إليه جميع الرسل، وبه الرقي الحقيقى في الدنيا والآخرة

جميع الكتب التي أنزلها الله وجميع رسول أرسله الله، الأصل الذي انبنت عليه والدعوة التي دعت إليها هو: الإيمان بالله والإيمان بوجوده وإيجاده المخلوقات، والإيمان بما له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال، والاذعان الكامل لعبوديته، والافتقار إليه.

القرآن العظيم الذي هو أجل الكتب وأعظمها والمهيمن عليها حث [17] على هذا الأصل بالطرق كلها، ففيه من أسماء الله الحسنى أكثر من ثمانين اسمًا، معرفتها ومعرفة معانيها تملأ القلوب إيمانًا ونورًا وقينًا وعلماً وعرفاناً، هو أفضل ما حصلت له القلوب، وأرقي الاعتقادات النافعة.

قال تعالى: فَوَلَّوْنا مَآمِنَا بِالله وَمَا أَنْبِلْ إِلَّا وَمَآ أَنْبِلْ إِلَى إِرْجَاهِمْ وَإِسْتِهِلْ وَإِسْتَمْعَ وَيَقُولُوا وَالآسِبَاتْ وَمَا أُوْقَ مُوسى

(1) كذا في الأصل، والأولى أن يقال: وكل رسول.
الإيمان بالله هو الأصل الذي دعى إليه جميع الرسول...

ويعني وما أويلي الب免وت من ربه لا نفرق بين أحده مهنهم ونحن له مسلمون [البقرة].

أمام الرب يسوع ببحي أنزل إليه من ربه وأولئك من أمان بالله وملتكيه وكنيه ورسليه لا نفرق بين بني اجدام من رسوله وفكلوا سعمها وأطعمنا غفوانا ربا وإياك عصيري [البقرة: 186] والذين عاطمو بالله ورسليه أولئك هم الصديقون [الحديث: 19]

والذين حملوا المال والاثرياء [البقرة: 82] في مواضع كثيرة يرتب عليها خيرات الدنيا والآخرة، ويرتب على عدم الإيمان جميع الشرور الدنيوية والأخروية، ويحير أن الأعمال والتبعيدات كلها ناشئة عن الإيمان، فمن امتلاً قلبه من الإيمان بالله كانت قوة عبوديته لله بحسب ذلك الإيمان الذي يلب قلبه، وكذلك إعمال الأسباب النافعة التي تنفع الأئمة والشعوب لا يمكن العبد أن يقوم بها على وجه الكمال والصدق والإخلاص والبناء على الأصول النافعة إلا بالإيمان.

فالإيمان أصل الخير الدنيوي والدنيوي، وبه توزن الأمور، صالحها وطالها.

وإذا أردت تفصيل هذه الجمل العظيمة والتمثيل لها على وجه يعرف به أهل العقول والأهلاب، فالأمور التي
يحصل بها الرُقي الحقيقي والسُعادة والفلاح الاعتقادات الصحيحة، والأخلاق المركبة للقلوب المطهرة للأرواح، الباعثة للهمم والعوام إلى كل خير، والأعمال الصالحة النافعة في الدنيا والآخرة.

وَهَذِهِ الْأَمْوَرُ مَتَلاَزَمَة، لَا يَتَم بِعَضْهَا إِلَّا بِعَضْهَا، وَبِتَمَامِهَا السُّعَادَةُ وَالفِلَاحُ، فِإِذَا اعْتَقَدَ الْعَبْدُ مَا أَخْبِرَتْهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّمَاعُ، أَنَّ لِهَ الكَمَالِ المَطْلُقُ مِنْ جِمِيعِ الْوَجْهِ، ثُلُُّ وَجَهَءَ عَنْهُ، وَأَنَّ الْآثَامِيَةَ وَجْهَهَا وَبَقَائُهَا وَكَمَالِهَا بَيْنَاهُ عَلَى، وَمِنْهُ تَسْتَمِدُ كُلُّ شَيْءٍ، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَحَدٌ، وَمَا سَوَاءَ مَخْلُوقٌ، وَهُوَ الْرَّافِعُ الْمَحْسُونٌ وَمَا سَوَاهُ مَرْزُوقٌ مَضْطَرٌ إِلَى إِحْسَانٍ رَبِّهِ وَكِرَامَةٍ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَهُوَ الْمَدْبُرُ الْمَصْرَفُ لِلْعَالَمِ الْعَلَويِّ وَالسُّفْلِيِّ بِحُكْمِهِ وَعَلِيْهِ وَعِنْانِهِ وَحِسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَهُوَ بَكْلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ، يَعْلَمُ السَّرَّ وأَخْفِىٌ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةُ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ يَسْمِعُ الأَصْوَاتُ سَوَاءً يَنْجُكُ مِنْ أَسْرَ أَلْقَوٍّ وَمَنْ جَهَرَ يَهُِ [الرَّعد: ۱۰۰]، وَيَرَى جِمِيعُ ما حَوَاهُ الْعَالَمُ الْعَلَويُّ وَالسُّفْلِيُّ، لَا يَخْفَى عَلَى نَظْرِهِ أَدْقُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي أَخْفِى الأَمْكِنَةِ، وَهُوَ مَعْ ذٓاَكْ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ وَالجَوْدِ وَالْكُرْمِ وَالْبَرِّ وَالإِمْنَانِ يُفْيِضُ الْإِحْسَانُ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ آنِهَا الْلِّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَدُهُ بِالْخَيْرِ
سحاء الليل والنهار، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وموصل إليها من بره وإحسانه جميع ما تحتاجه [18] في وجودها وبقائها وتمام أحوالها، وهو مع ذلك قد أمر المخلوقات أن تنبيه إليه وتسأله حاجتها، وترفع إليه في جميع مهماتها وملمماتها، فيجيب الداعين ويكشف كربات المكروبين، ويزيل الضر عن المضطربين، ويسوق الألفاف وأصناف البر لعباده المنبيين.

فمتى اعتقدت القلوب هذه الاعتقادات الصحيحة في ربيها وإلهها فلا بد أن تنبيه إليه بالخوف والرجاء والمحبة، وتمتليئ من تعظيمه والإيمان به، وتطلب السعي في كل أمر يرضيه، وتتجنُب كل أمر يسخطه، فيضطرها هذا الأمر إلى الإخلاص الذي هو روح الأعمال، فالخلاص الله تنبيه أعماله الظاهرة والباطنة على أن يكون الداعي لها واليابث عليها هو الإيمان بالله، وغايتها الذي تنتهي إليه وتسعى إليه طلب رضاه، والتنعم بثوابه وخيراته، وبذلك يزول عن القلوب جميع الأخلاقيات الرذيلة من الرباء والنفاق والعجب ومساوئ الأخلاقيات، وتتحلى بالأخلاق الجميلة، من الحب والإخلاص والطمع في فضل الله، والخوف من عقابه والصدق الكامل في طلب مرضاته، والإثابة التامة إلى ربها.
في رغباتها ورَهَباتها، لأنّها تعلم أنّها لا ملجأ ولا منجي ولا مولى ولا نصير إلاّ ربّها ومليكها، وتكون محبّتها للخير الذي يقرّبها إلى مولاها مقدّمة إلى كلّ محبة، وتزيد أنّ قوتها وغذاؤها وكمالها بهذه الإبانة وهذا الافتقار، وتتطفّع بهذا التّعبد على عباد الله، فتحبّ للمسلمين ما تحبّ لنفسها من الخير، وتسعى لذلك بحسب مقدورها، ثم إذا أصابتها الكبائر وحلّت بها المصيّات فرعت إلى ربّها، ليكتشف ضّرّها، ويثنيها على ما قدّر عليها، وتطمع غاية الطّمع في فضل ربّها ورجاء رحمته وطلب ثوابه.

وبهذا المعنى الّذي تُتصف به، وهذه العقيدة التّافعة تهون عليها المصيّات، وتخفّ عنها المكروهات، لما تعلمه من حكمة الله، واستناد الأمور إلى تدبيره وقدرته، ولما ترجوّه من تفريج كُربها؛ لأنّها تعلم أنّه لا يفرّج الكُربات ولا يزيل الشّدّات إلاّ هو، ولما ترجوه من الثواب الذي أرّبه على المكاره والصبر عليها.

وأماما من لم يحصل له هذا الإيمان فإنه عند المصاصب والمسلمات يجري له من الآلام القلبية والفظائع الروحية والزّلازل العظيمة ما لا يمكن التّعبير عنه، وربّما أنّ بعض هؤلاء تصل به الحال إلى إتفاف نفسه أو إلى
زوال عقله، لعدم ما يستند إليه ويرجوه، وكما أنّ المؤمن الحقيقيّ يتلقّى المكاره والمصيبات بالصبر والقوّة والطمأنينه للاسباب التي أشرنا إليها، فإنّه يتلقّى أوامر ربه بالقوّة والعزيزة الصادقة، ويوذّي حقوقه وحقوق خلقه بالكمال والتمام بحسب استطاعته، ومع ذلك فإنّه يعلم أنّه لا يمكنه أنّ يتم له العبودية وأداء الحقوق الواجبة والمستحبة والمصالح الكلية والجزئية إلا بالسعي [19] بالأسباب الدُنيويّة النافعة، وبالقيام بالقوّة المعنويّة والماديّة، فانبعثت همّته لداعي الإيمان وداعي العقل وداعي الفطرة إلى ذلك، وأبدى ما يقدر عليه في تحصيل ذلك، وعلّم أنَّ المقاصد لا تتم إلا بالوسائل، وأنّ الوسائل التي تعين على المصالح مما أمر الله به ومنه رتب عليه النّواب وعلى الاستهانة به العقاب.

فدخل في هذا جميع الأسباب الموجودة، والتي تحدث بعد ذلك، فتعلِّم بذلك أنّ الإيمان المذكور هو الباعث على تحصيل خير الدّنيا والآخرة، وأنّ من لا يرجو ثواباً من الله ولا يخشى منه عقاباً، ولا له إمّان يستند إليه أنه ضعيف الهمّة، ضعيف العزم النافع، وإنّما تنبعث عرّمته في تحصيل لدّاته البهيميّة وشهواته السُفلية وطمعه
الدّنيء، فربما كانت قوته في هذه الأمور وأسبابه الماديَّة في تحصيلها فوقع ما يتصوّره المتوصّر، ويعتبر عنه المتكملّم، ولكن لا إيمان يستند إليه ولا غاية حميدة يترجّيها، ولا حياة أبدية يعمل لها.

فمن كانت هذه حاله لم ينل في هذه الحياة طبيّها ولا نجح في تحصيل سعادتها، بقطع النّظر عن الحياة الأخرى فإنّه ليس له في الآخرة من خلاقي ولا نصيب.

وبهذًا يُتضح لنا ما عليه المُعرضون الآن عن الإيمان بالله، وأن هذه المناظر وما مّتعوا به من الحياة ما هي إلا لذّات مؤقتة تحتها ما شئت من الآلام والأكادار، وأنه لا غاية لها، وأن المؤمنين بالله مهمّا تنقّلت بهم الأحوال وتطوّرت بهم الأمور فإنّهم خير من هؤلاء وأحسن عاقبة، فلو وفّق المؤمنون للقيام الكامل بالإيمان على الوصف الذي ذكراه لنا حاذا الحياة الطبيّة في هذه الدّنيا، والحياة التي أطيب منها في دار القرار.

وأزبدك أيضًا أن الإيمان الذي وصفنا هو الذي يحت صاحبه على كل خُلق جميل، ويزجره عن كل خُلق رذيل، فالإيمان يدعو صاحبه إلى الصدقة في الأحوال والصدقة في معاملته الخلق، فمن لم يكن مؤمناً هذا
الإيمان لم تكن مطمنًا من أقواله ولا من معامالاته، وربما راعاك في شيء وكذبك في شيء، وهو الذي يبحث على النصح الله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم.

فإيمان العبد يوجب أن يبذل في هذه الأمور كل ما يستطيعه من النصح ويقدر عليه، ومن لم يكن كذلك فأنه غير آمن من غشته إن نصحك فيما يظهر ويبين فما الذي يمنعه أن يغشك فيما يظن أنه لا يبين، ليس معه من الإيمان ما يعصف من هذا الخلق الرذيل.

الإيمان المذكور يحمل صاحبه على الصبر والقوة والشجاعة والإقدام في المواضع التي يحجم عنها ضعفاء التقوس الذين لا إيمان معهم، فالمؤمن بقوة إيمانه وتوكله على الله ورجائه لقوته وعلمه أن الثواب الذي ينويه والنجو الأولوي يكون بحسب ما قام به من واجبات الإيمان ومكمالاته وما قام به من الجهاد، ويسهل عليه القيام بالأعمال الشاقة [200]، ويقوه عليه ما يلقى من الأهوال والمعارضات، ولا يأخذهم في ذلك لوم اللائمين، وقدح القادحين، ولا يصعب عليه ما أصابه من جرء ذلك من المصائب، وكلما قوي الإيمان كان قيامه بهذه الأمور أعظم وأعظم.
أَمَّا مِن لَمْ يَكْنِ مَعِهِ ذَلِكَ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ فَمِن أَيْنَ لِهِ التَّبَاتُ عَلَى الصَّبْرِ وَعَلَى الْمُقَاوَمَاتِ الشَّاَقَة؟! نَعْمَ قد يَكُونَ لِهِ صَبْرٌ [بِعَدْ] الأَوَّاتِ فِي تَحْصِيلٍ أَغْرَاضِهِ السُّفَلِيَّة، وَشِهَوَاتِهِ النَّفَسِيَّة، وَقَدْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنِ الشَّجَاعَةِ والقُوَّةِ فِي تَحْصِيلٍ ذَلِكَ [...]; وَلَكِنْ حَلَّهُ ما أَرَذَلَهَا وأَخْتِرُهَا وَأُقِلُّهَا بِقَاءٍ، فَإِنَّ الْوَسَائِلِ تَابِعَةٌ لِمُقَاصِدَهَا؛ فَأَيْنَ مِنْ كَانَتَ مُقَاصِدُهَا أَجَلَّ الْمُقَاصِدٌ؛ نَضْرُ الْذِّينِ وَإِعَانَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَقُمَّ عِدَّاءِ الْذِّينِ، [...]. وَمُقَاوَمَةُ الْبَاطِلِ وَتَحْصِيلُ الفَلَاحِ الأَبْدِيِّ وَالسَّعَادَةِ السَّيْرِيَّة، وَالْقِيَامُ بِحُقْوَاتِ [اللَّهِ ...] كَلِّيَّةٌ وَجُزْئِيَّةٌ؟ أَيْنَ هَذَا مِمَّمْ نَهَایِهِ إِدْرَاكُ رَيَاْسَةُ مُؤْقِتَةٍ وَلَدَّاتٍ [فَانِيَةٍ ... مَشْوَى بَـ] الأَكْدَارِ، وَكَانَ عَادِيَتِهَا الْهَلَاكُ وَالْبَوَارِيَّةُ إِنْ بَيْنَ حَالِيِهِمَا لِكَمَا بَيْنَ [المُشَارِقِ وَالمُغَارِبِ].

الإِيمَانُ الْمَذْكُورُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْعَدِلِّ، وَبِنْهَا عَنِ الْظُّلْمِ، فَإِنَّهُ يَعْلُمُ أَنَّ إِيْمَانَهُ لَا يَتَّقَلَّقُ [...]. إِلَّا بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مِنْ عَلَّدِمُ الْإِيْمَانُ فَأَيْنَ الْعَدِلُ الَّذِي يَتَأَسَّسُ عَلَيْهِ؟ فَمَا تَأَسَّسَ الْعَدِلُ إِلَّا [عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَاتِبَاعِ الْرِّسَالِ] وَالْكِتَابِ السَّمَّاوى، وَإِلَّا فَطَبيْعَةُ الْإِنْسَانِ الْظُّلْمِ
ورفعهم إلى العدل فليس من الذّين، وكيف تأمن من لا إيمان له أن يظلحك في دمك ومالك. [ ] فإنّ النّفوس مجبولة على محبة الأثرة إن لم يكن معها إيمانٌ يردعها. [ ] وعلم صحيح وعدل يحجزها.

في تحصيل الفنون العصرية التي فيها [الغلبة والنصر] على الأعداء، وفيها المقاومة والاقتدار على المهاجمة، وعند المسلمين من الدواعي [الإيمانية ...] وطلب المصلحة ما ليس عند غيرهم، واللّوم موجه إلى المؤمنين، فليس [211] لهم عذر عند الله ولا عند خلقه ولا تعذرهم نفوذهم الأبیة ولا أخلاقهم وتعاليمهم الدينية الإيمانية.

إذا كان الإيمان الحقيقي يدعو إلى هذه الفضائل ويزجر عن جميع الرِّذائل أَنْ أَضْحَ أَنَّهَ الْطَّرِيق الوحيد والضِّراع الأقوم للسَّعادة الحقيقية والرَّقي الحقيقي، وأنّ ما نراه في بعض الأمم الفاقدة للإيمان ليس إلا كالسَّراب حتّى إذا جاءه المُنَصف وحقّه أمره لم يجدّه شيئاً، حتى قال بعض منصفهم في هذا المقام: «إِنَّ النَّاس كَانوْنَا لَا يزالون يطلبون الحقّ، ولم يكونوا في زمان أبعد عنه في هَذَا الرَّمَان»، يريد بذلك قومه، فهما هم عليه من مظاهر السَّعادة الْذِّنَويَّة فإنّ حشو الآلام الشَّاغلة لقلوبهم أجمعين ما يرحمهم لأجله المقصُور عنهم، ويُرَهَّد الزَّاغبين في مثلها لهم، ويضذدهم عن أتباعهم، والسّبب بعُدُهم عن الإيمان والحقّ، وتزوع أنفسهم إلى الباطل، وهروّلتهم خلف دواعي الشَّهوة.
والسبب الأصلي في ذلك كله خلو نفوسهم من الركون إلى الإله الواحد، خالق الجميع ورازق الأحياء، ومقدّر الأسباب لعاصبيهم، فهذة الأحوال والظواهر التي لم تثبت على الإيمان هل يقول صحيح العقل: إنها حياة سعيدة والقلوب قلقة والنفوس محتشرقة! وإنما الراحة والحياة الطيبة راحة المؤمنين الذين اكتسبوا راحة الضمائر، وطمأنينة السرائر، والرضا الحقيقي مع السعي الجميل في طلب المنافع والمكاسب، فالمؤمن حيث تجده تجد هذا الوصف منطبقاً عليه، فهو سعيد وإن كان بين الأشقياء، حكيم وإن وجد بين السفهاء.
وأماماً من أخذ اسم الإيمان رسمياً، ولم يتحقق به عقداً ولا خلقاً ولا أدباً فلم تضمن له الحياة الطيبة.
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
واللَّهِي بالحق واللَّهِي بالصبر.

كم في كتاب الله ورسوله من الأمر بهذا الأصل العظيم، والقاعدة العامّة الجامعة لكل خير.
فإن المعروف: اسم جامع لكل ما عرف حسنًا شرعاً.
وعقلاً.
والمنكر: اسم جامع لكل ما عرف قبيحه شرعاً.
وعقلاً.
والحق: هو العلوم النافعة والأعمال الصالحة.
فتدخل في هذا تعلّم جميع العلوم النافعة، وتعليمها، وكما يدخل في ذلك تعليم المستعدين لطلب العلم، فإنّه يدخل فيه تعليم الناس ووعظهم في المساجد والمجامع - الصغار والكبار - وفي الحديث مع الأصحاب وغيرهم.

وكذلك يتبع أن يكون هيئة وجمعيات من...
ال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

المسلمين يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ومن أكبر المعروف أن يسعوا في جمع كلمة المسلمين، واتقاؤهم على مصالحهم الكلية وإزالة ما يقع بين المسلمين من التبعدي والتباغض والتنافر التي هي من أكبر الأسباب الممكنة للأعداء، وأن يكون من المسلمين طائفة كافية مستعدة للجهاد بالإقبال على تعلم العلوم والفنون العصرية والصناعات والأسلحة [22] التي لا يقوم الجهاد إلا بها، فإن الجهاد في سبيل الله من أكبر ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد نوعان:

• جهاد واجتهاد في تقوية المسلمين بالروح الإيمانية والقوة المعنوية والشجاعة الدينية.

• وجهاد الأعداء في مدافعتهم ومهاجمتهم، وأخذ الاحتياطات الكافية لوقاية شرهم وضررهم.

ومعلوم أن هذه الأمور تتوقف على الحذق والمهارة في الفنون العصرية النافعة، فيكون السعي فيها وفي تعلمها داخلا في الجهاد وطريقاً عظيماً من طرقيه.

ومن ذلك أن يكون طائفة من المسلمين تتفقد الناس وتلزمهم القيام بالفرائض الدينية، كالصلاة والزكاة والصّوم.
والحج وجميع حقوق الله وحقوق خلقه الواجبة، وتردعهم عن المنكرات الظاهرة والباطنة.

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصويت بالحق أن يكون المسلمون في كل أوقاتهم وأحوالهم متناسين، يبحث بعضهم بعضًا على الحق الذي هو العلم النافع والعمل الصالح والصبر على ذلك، فإن الصبر هو الآلة والأساس الذي لا ثبوت للأمور إلا به.

ومن ذلك السعي في المشايع الخيرية التي تنفع الأمَّة، وتحصيل الأموال لقيامها وتمويدها، كالمدارس العلميَّة في جميع فنون العلم النافع في الدين والدنيا، المعينة على الدين، سواء كان ذلك سعيًا على طريق الإحسان المحض أو على طريق التجارة والكسب، فكثير من الأعمال الكبيرة التي تنفع الناس في دينهم وذُنيهم لا تقوم إلا بالشُركات الواسعة، فإذا كان الناس يسعون للمساهمة في الشركات التجارية المحضة، فكيف يتأخرون عن الشركات الجامعة للأميرين: للمصلحة الدينية والمصلحة الدنيويَّة؟ بل نفس السعي فيها والعمل لها من أعظم ما يقرب إلى الله تعالى، وتعيينها يتوقف على المشاورة واتباع المصلحة الراجحة.
ومن أجلٍ وأفضل ما يدخل في ذلك مجادلة المبطلين وإقامة الحجج والبراهين على أعداء الدّين من الكفّار والملحدين، وقد يكون مقاومة الملحدين الدّين يتسمّون باسم الإسلام ويدعون إلى نبذ أصوله ودعائمه أفضل من التّصادّي للمبارزين من الأجانب المعروفين بمبارزة الدّين؛ فإنّ هؤلاء شرَّهم أعظم، وضررهم أكبر، لاغترار كثير من الناس بانتسابهم إلى الإسلام، وهم في الحقيقة من أكبر أعدائه، وهؤلاء قد يكونون أجراءً للأجانب، وقد يكونون مخدوعين، لكنّ من أوجب الواجبات تمييز أحوالهم وإنكار ما أدخلوه على الدّين من الدّعاية الباطلة.

وبحما تلوناه عليك من التّقريرات اليقينيَّة عن دين الإسلام يتضح عقلاً كما اتضح شرعاً بطلان ما زعمه بعض المتعصّبين من دعاة النّصارى وأجْرِائِهِم أنّ دين الإسلام مانع من الزُّريّة، وإنّ هذا الكلام والزُّرع الخبيث مكابرة ببيّنة، وأنّ الزُّريّة الحقيقي محالٌ وغير ممكن أن يتأسّس إلا على قواعد الدّين، فالقواعد والأصول التي نبَّهنا عليها عن الدّين لا يمكن أحدّ أن ينكر أنها السّبب [23] الأعظم والطّريق الوحيد إلى الارتقاء في مدارج
السعادة والفلاح، وأنَّه يتعذر النجاح بدونها، وأنَّ كلٌّ رقيٌّ بغيرها فإنَّ مبنيًّ على شفا جرَّف هار، وكيف يحصل الرقيٌّ إذا لم ترتفق القلوب والأرواح بمحبة الله والإannyaة والافتقار إليه وقوة الإيمان والتوكل عليه؟ وكيف يحصل الرقيٌّ النائم ولم ترتفق الأخلاق بالتَّحلي بالفضائل والتَّحلي عن جميع الرذائل؟ وكيف يتمُّ الرقيٌّ بغير الجهاد الشريعي الذي هو الجهاد على تبيين الحق والهدى وعلى قبُوله وعلى دفع عادية المعتدين؟

الجهاد الشريعي هو الذي جمع بين القوة المعنوية بالإيمان الكامل بالله، والاعتماد عليه، والتوكل والاستعانة به، والعمل بجميع الأسباب التي لا يتمُّ الجهاد إلا بها، وجمع القوة المادية حيث حث على الاستعداد بكل ما يستطاع من القوة العقلية والسياسية والرقي والركوب وتعلم الصناعات والفنون التي تُعين على الجهاد وعلى أخذ الحذر من الأعداء بكل وسيلة وطريق.

فيا ويج من زعم أن هذه التّعاليم العظيمة العالية لا يحصل بها الرقيٌّ، وإنَّما يحصل بالقوة المادية التي لا صلة لها بالدُّين المبنيّة على القفاوة والهمجيّة والوحشيّة والظلم ونبذ الدّين، ولكن أكثر الناس تغرهم المظاهرة
والصُّور وليس لهم ألبابٌ ينظرون بها إلى حقائق الأشياء
 وإلى الأمور النَّافعة، التي نتائجها الخيرات والسعادة
 الأبدية.
الدين الإسلامي هو الصلاح المطلق
ولا سبيل إلى صلاح البشر الصلاح الحقيقي إلا بالدين الإسلامي

قال تعالى في عدة آيات: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصِّلْهَاتِ) [البقرة: 277] ثم يرتب على ذلك خير الدنيا والآخرة، ويطلق الصالحات، فكل شيء ينطبق عليه الصلاح فإنه داخل في الصالحات، (إِنَّ أَيْمَانَ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ أَسْتَطَعَتْهُمْ) [هود: 88]، (إِنَّ اللهَ لَا يُصِيبُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ) [الإسراء: 31]، (وَهُوَ يَتَوَلَّى الْمُفْسِدِينَ) [الأعراف: 175]، أي: الذين صلحت قلوبهم وأعمالهم وأخلاقهم، (وَإِذَا قَبِلَ لَهُمْ لَنْ نَفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّا مُصْلِحُونَ) [آل آدم: 17]، (هُمُ الْمُفْسِدُونَ) [البقرة].

وهذا يقوله تعالى للمنافقين الذين يزعمون أن ما هم عليه من النفاق وترك الإيمان صلاح، فأخبر تعالى أنه هو عين الفساد، فكل من زعم أن الصلاح في خلاف الدين.
الإسلامي فهو من هؤلاء المنافقين وعلى شاكلتهم، وفي القرآن آيات كثيرة فيها الحث على الصلاح والإصلاح والتهدير عن الفساد والإفساد.

وهذا الأصل الكبير كما أنّه ثابت شرعاً ودينًا فإنّه ثابت في العقول الصحيحة والألباب المستقيمة، وذلك بمعنّفة ما هو الصلاح وضدّه، أمّا الصلاح فأن يكون الأمور كلها ظاهرها وباطنها دينيّة ودنويّة معتدلة كاملة مكملة حاصلة لّها من الأوصاف الصالحة والنعوت المصلحة ما يوصلها إلى الصلاح الحقيقي، وبذلك ينتفي عنها الفساد، أمّا صلاح القلوب فأن تكون عارفة بالحقّ معترفة به منقادة له، تابعة له.

فأعظم الحقّ على الإطلاق الذي يتعين معرفته والانقياد له [٢٤] هو معرفة تفرّد الرّب بالكامل المطلق الذي لا يشاركه ولا يماثله فيه مخلوق بوجه من الوجه، وأنه المتفرّد في عظمة صفاته، وتفرّد في أفعاله وعطائه، ومنعه وخفضه ورفعه، وتصريفه الأمور بحكمة وعناية، تتقاضر عقول العالمين عن بلغ غايتها ونهاية دقيّتها.

ثمّ إذا عرفت هذه المعرفة الصحيحة المتلقأة عن كتاب الله وسنتة رسول الله اعترفت واتقانت له محبةً وخوفاً.
ورجاء وإنابة إليه وقصداً في جميع شؤونها الظاهرة والباطنة، وبهذته المعرفة والاعتراف والانقياد التام تنقاد إلى أداء حقوقه وحقوق عباده بانشراح وطمأنينة وإذعان وداعي الإيمان ورجاء الثواب.

أليس هُذا هو الصلاح الحقيقي الذي لا يمكن صلاح الأحوال إلا به؟! فهل يمكن أن يصلح عبد لم يُفرد ربه بمعروفته ومحبهه والإنابة إليه، ولم ينقد في ظاهره وباطنه إلى القيام بعبوديته وحقوق خلقه؟! فلما خلت القلوب من هذة المعاني الجليلة فهل يمكن أن تصلح ؟! وهل يمكن أن تصلح الحركات الظاهرة والباطنة؟! هذا ممتع ومستحيل.

فالقلوب الخالية من الإيمان، المتجردة عن الانقياد والإذعان إليه حيث انقطعت عن الله، فلا بد أن تتبع شهواتها وأهواءها، وبذلك تفسد الأحوال كلها.

وهذا برهان ظاهر نبّر على أن الصلاح في الدين والذّنبا منوط بالقيام بالذّین الإسلامي.

وأيضاً فإنَّ الناس مضطرون إلى الاجتماع، ومفترضون إلى تبادل المصالح، ولا بد لبعضهم من بعضهم، وشؤون بعضهم متعلقة ببعض، ولا يشك أحد من العقلاء أنَّ
مصالح البشر متعارضة ومطالبه متبادنة، والمصالح المختلفة، والأهوية غالبًا، فكان هذا أقوى البراهين على اضطراب الخلق إلى دين وشرع سماوي معصوم محدّد لهم الحدود، ويشيرّ لهم الشّرائع، وينهج لهم طريق العدل والإنصاف، ويمكن بعضهم من الانتفاع ببعض بطمأنينة وحياة طيبّة.

والشّرع والدّين الإسلامي كفيل بهذّذلك على الوجه الأكمل والطريق الأقوم، ألا ترى حسن ما شرعه من المعاملات في المعاوضات كلّها والتبرعات، وما أوجبه من الحقوق بين الناس على حسب ما تقتضيه المصلحة والضّرورة والظروف، وما فيه من قواعد العدل التي لا غنى للخلق كلهّهم عنها، وما فيه من الحدود والعقوبات للمجرمين بحسب جرائمهم، فلو وُكل الناس إلى عقولهم في هذه الأمور لصارت تبعًا للأهوية والأغراض، وحرصت الفوضى بحسب ما ترك من نظمّات الشّريعة.

وكلِّ قاعدة نافعة موجودة عند الأجانب، وكلُّ نظام نافع عنهم فإنّما أصله ماأخوذ من الذين الإسلامي. فليذكر لنا المنحرفون أصلاً نافعاً ومعاملة نافعة وعملاً نافعاً خارجاً عن الذين الإسلامي.
ولن يجدوا إلى ذلك سبيلًا، وكيف يجدون السبيل
والمتي أنزله وشرعه للخلق هو الرَّب الَّهِ الرَّحِيمُ، الذي وسعت
رحمته كل شيء، وأحاط علبه بكل شيء، وعلم (25) أحوال الخلق ماضيها ومستقبلها، فلا يخفى عليه منها مثقال ذرَّة، وأحكَم ما شرعه غاية الإحكام، كما أحكَم ما قدَّره في أحسن نظام، أليس من أجل طرق الصلاح الشكر
عند النَّعمة، والصبر عند المصائب والضراء، الأمران
اللذان لم يزال و لا يزال الخلق في هذه الدنيا بينهما يتقلَّبون، ولا يمكن أن يخلو منهما مخلوق في وقت من
الأوقات، ولا حالة من الأحوال.

فصل الشاكِّ في اشتمال الذِّين الإسلامي على غاية
الصلاح: هل ما يدعو إليه الذِّين الإسلامي من مقابلة النعيم
والخيرات بالشكر والثناء على مواليها والاستعانة بها على
ما يحبه ويرضاه في صرفها في الوجهة النافعة، ومقابلة
المكاره والمصائب بالصبر والرضى عن الله والتسليم
لأقداره، فيكون العباد عند النعيم من الشاكرين، وعند
المكاره من الصَّابرين، ويكسب الحياة الطيبة في الدنيا،
مع ما يذَّكره الله له في الآخرة، أم مقابلة النعيم بالأشر
والبطر، والمكاره بالسخط والآلام القلبية والزُّلازل
ال_Pin_الإسلامي هو الصلاة المطلق...

الروحية كما هو أمر لازم للمنحرفين؟ فالعباد لا يشكون أن الأمم لا يستويان.

وقل لهم: أي الأمور خير، ما دعا إليه الدين من قوله: جولن_أنا أثابكم _و_أنا أذن لكم _قُوَّمًا (القرآن)، الذي به صلاح الأمور، أم طريقة الإسراف والتبذير، وطريقة البخل والتفتيير؟ وما دعا إليه الدين من الإحسان في عبادة الخالق وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها والإحسان إلى الخلق بكل وسائل الإحسان، أم ما يدعو إليه المنحرفين من الإعراض عن عبادة الله وحده، والاحباب النام على شهوات النفس الخسية، وجعلها هي مبلغ علم الإنسان، وكل همه منع الإحسان إلى الخلق، بل مقابلة الإحسان بالإساءة؟

فلا بد أن يقول العقل الصحيح: هذا الأمر الجلي لا يحتاج إلى طلب ترجيح.

وقل للشاك في حسن الدين الإسلامي: هل ما دعا إليه من وجب بر الوالدين وصلة الأرحام وأداء حقوق الأصحاب والجيران والمعاملين بطريقة العدل والفضل خير أم طريقة الأثرة والعقود والقطيعة والجور في المعاملات؟!
وقل له: الله قد وهبنا عقولاً وقوى ظاهرة وباطنة
نتمكن بها من إدراك سعادتنا، ودفع شقاوتنا، فهل إذا
استعملنا ما وهبنا ربنا من ذلك فيما خلقنا له من عبادة ربنا
والقيام بحقوقه وحقوق عباده ورضوئه تلك المواهب
والقوى لأحكام من أنعم بها ووهبها، والسلوك من ذلك
الطريق المستقيم إلى ربنا، والاستعاناة بما أعطانا من
المنافع الدُنية إلى إصلاح ديننا ومصالحنا الكُبرى، أم
الأولى بنا أن نستعمل العقول والقوى في أمور تافهة
طفيفة؛ لا تغني عن صاحبها شيئاً إن لم ي büضسها ويبنيها
على الدين، وإنما يجعلها تبعاً لشهواته، ووقفاً على
مراداته ولو أهلك وضر أخراً؟!
فالأديان الصّحيحة يدعو إلى الأول، وطرق الانحراف
تدعو إلى الثاني.
وقل له أيضاً: أيما أولى بالعبد أن يتبع ما دعا إليه
الذين من إخلاص الذّين الله وحده، وتعليق الرغبات
والرّهبات [26] بالله، وأن لا يرجو ولا يطمئن إلا بفضل الله
وكرمه، أو تعليق ذلك بالمخلوقين الذين لا يملكون
لنفسهم فضلاً عن غيرهم فنعًا ولا ضرراً ولا موتاً ولا
حياة ولا نشورًا.
وَقَلَ لَهُ: إِبَّانَ كَانَ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا
وَهَدَانَا وَعَافِنَا وَتَفْضَلَ عِلْيَنَا بِالْبَعْثِ الْخَفِيَّةَ وَالبَاطِنَةَ؛ أَلا
يَجِبُ عِلْيَنَا أَنْ يَكُونُ وَسْعُودُنَا، وَهُوَ الَّذِي نَحْمَدهُ
وَنَشْكِرُهُ، وَنَبْذَلُ لَهُ مَا فِي وَسْعِنا وَاجْتِهدَانَا، وَمَعْ ذَلِكَ فَإِنَّا
لَا نَبْلُغُ بِذَلِكَ مَقَابِلَةً أَدْنَى نُعْمَةَ مِنْ نَعْمَهُ عِلْيَنَا. فَهَلْ يَقِ
باَّنَا أَنْ نَصْرُفْ شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ فِي شَكْرِ غِيرَهُ، وَعَبْوُدِيَّةِ غَيْرِهِ؟
لَا وَالَّهُ إِنْ هَذَا أَمْرٌ يُسْتَقِبِحُ اَلسْتِرْعِ وَالْعَقَلُ وَالْفَطْرَةُ.

وَقَلَ لِلشَّاكِّ: فِي تَعَالَمِ الْذَّيْنِ الْرَّأْقِيَةِ: أَليِسُ الدَّيْنِ
الْإِسْلاَمِيُّ يَحْتَثُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَةً مُتَأَلِّفِينَ مُتَفَقِّقِينَ
عَلَى دِينِهِمْ، وَعَلَى أَصُولِهِ، وَعَلَى جَمِيعِ مَصَالِحِهِ،
وِيَرْفَعُهُمْ فِي هَذَا الأَصُولِ غَاْيَةَ التَّرْغِيبِ، وَيَذْكَرُ لَهُمْ ثَمَرَاتُ
ذَلِكَ الْعَاجِلَةُ وَالآَجِلَةُ، وِيَزُجُّهُمْ أَشْدَّ الرَّجُلِ عَنْ كَلّْمَا
يُتَنَافِي ذَلِكَ، مِنَ الْبَبْغَضِ، وَالْتَبَذْيَرِ، وَالْتَقَاطِعِ، وَيَخْبِرُهُمْ أَنَّ
إِلْصَافُ ذَاتُ الْبَيْنِ هوُ السَّبِيبُ وَالْطُرُقُ لِسَلَاحِ الأَحْوَالِ,
كَمَا أَنَّ فَسَادُ ذَاتُ الْبَيْنِ هوُ السَّبِيبُ فِي الْاَسْتِرَارِ الْدِّيْنِيَّةِ
وَالْذِّنِيَّةِ.

فَهَلْ يَوْجِدُ طَرِيقًا لِسَلَاحِ الأَحْوَالِ الكَلِّيَّةِ غَيْرُ هَذَا
الْطَرِيقِ الَّذِي يَرْشَدُ إِلَيْهِ الدَّيْنِ، بِجَمِيعِ وَجَوْهِهِ؟!

وَقَلَ لِلشَّاكِّ فِي كَمَالِ الدَّيْنِ: إِذَا قَالَ: نَحْنُ نَعْتِرَفَ
بما احتوى عليه الدين الإسلامي من الإصلاحات الدينية أو الثقيلة أو الأخلاقية، وما احتوت عليه أحكامه من العبادات والمعاملات من الحسن الذي لا مزيد عليه، ولا يمكن أن تقترح العقول أحكاماً مثل أحكامه، فضلاً عن كونها تقترح أعلى من أحكامه، ولكن نشك في احتوائه على المنافع الدينية، وعلى الصناعات وعلى علوم السياسة.

فأجبه قائلًا: أليس فيه قواعد وأصول من علم الاجتماع والسياحة لا يمكن أن يخترع المخترون أحسن منها؟! أليس فيه الأمر بالمشاورة في جميع الأمور الداخلية والخارجية؟! فما المقصود من المشاورة إلّا النظر في المصالح والضار والخير والشر، وتقديم ما تعينت مصلحته أو ترجح، واجتثاب ما تعينت مضرته أو ترجح.

فالسياحة الحكيمة كلها ترجع إلى الشورى في الأموال، ألم يقول الله: «وَسَحَرْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ» [الجاثية: 13]، {ألْبَرْتُمْ أَنَّ اللَّهَ سَحَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [القصان: 20] أي: سحر لنا جميع ما في الأرض لننفع بعسرها وزرعها وحرثها واستخراج...
الدين الإسلامي هو الصلاح المطلق...

معادنها، والانتفاع بصناعاتها، وكذلك قال: «وَأَنَّكَ أَجِدْتَ في بَيْنِ شَيْدٍ وَسَعَّرٍ لِّلْمَسْجِدِ [الحديد: 25]»، فأطلق المنافق، فشملت المنافق الدينية والمنافق الدنيوية، خصوصاً منافع الأسلحة المتنوعة التي تجري مع الرَّمان والأحوال والصناعات التي ينتفع بها النَّاس في كل شيء، ألم يقل الله: «وَأَيْدِيَانِ لَهُمْ مَا أَسْتَطِعْتُمْ يَنْفَعُونَ [الأفون: 30]»، فهذا يدخل فيه كلُّ [27] قوَّة عقلية وسياسية، وتعلم الفنون الحربية، والرُّكوب والرَّمي، وتتابع ذلك، وكذلك أمر بأنْخذ الحذر من الأعداء، وذلك بالتخلص والتحصين والتحرز منهم بكل وسيلة تحصل بها الوقاية والتَّحرز.

وكم في كتاب الله وسُنَّة رسوله من الأمر بالجهاد ومقاومة الأعداء، يدخل في ذلك كل وسيلة تُعين على الجهاد في سبيل الله، فعُلم بذلك أنَّ الدين الإسلامي قد احتوى على جميع المصالح والخيرات العاجلة والآجلة، والنهف الكلي والجزئي والديني والدنيوي.

فهذه كلمات كلية يُعرف تحقيقها بتتبع الأنواع والأجناس والأفراد وتحقيق الأمر فيها، وهذا من أكبر الآيات والبراهين أنَّهُ (يَزَيِّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَكِيمٍ) [فصلت].
وممّا يدلُ على عظمة هذا الدين أنَّ الله أباح جميع الطبيبات من المأكولات والمشارب والملابس والمناخر والمناكح والمتعات، وحرّم كلّ خبيث من هذه الأمور ضارًا لصاحبه والمصلحة العمومية، وأنّه ما أمر بشيء فقال العقل الصحيح الحر: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء، فقال العقل: ليته أمر به، ولا أخبر بما تُحيله العقول، بل أخبره نوعان:

نوع تشهد العقول بصحته وكماله وفضله.

ونوع لا تهتدي إليه ولا تعرفه لعدم وصولها إليه، لكونه من عالم الغيّب الذي لم تشاهده ولا شاهدت نظيره.

وهذا النوع قد أرى الله عباده في الأفقاء وفي أنفسهم من الآيات ما يدل على صدق ما أخبرت به الرسل وحُدِّفت به الكتب السماوية.

مَن نظر وأمعن النظر في هذه الأصول التي تلونها ونبثنا عليها تنبيهاً مختصراً علم علماً يقينًا أنَّ الدين الإسلامي هو الدين الحق في علومه وعقائده وأخلاقه وأعماله وسياسته، وحسن معاملته للخلق، وإحسانه إلى الموافق والمخالف، وأنَّه يدعو إلى سبيل الحق بالحكمة.
الدين الإسلامي هو الصلاة المطلق...

التي هي سلوك الطرق والوسائل القولية والفعلية التي يستعان بها على الدعاء إلى سبيل الله الذي هو الضايقو المستقيم، وأنه يأمر باللهين وعدم المخاشنة في مخاطبة المحاربين للدين، فكيف بذلك مع المؤمنين؟ فيقول لرسوله ﷺ: "فيما رحم الله من آلهه إبت لههم... وَلَوْ كُنتُمْ قَفَّائًا عَلَى طَنُبٍ أَلْقَوْا مِنْ خَلِيقٍ" [آل عمران: 169]. وقالي لموسى وهارون: "فُقهَا لهُم، فَوَلَّوْا لَبَنًا لَعْلَهُ، يَذَكَّرُوا أَوْ يَخَافُنَّهُ" [طه].

ثم انظر إلى ما يخاطب الله به أعداءه الكفار، وتخطبهم الرسول، فإنهم الطريق الأقوم لهذا الطريق والدعاء إلى الخير، وبه يحصل من المنافع ودفع المضار ما لا يحصل بالمخاشنة والمشاتمة، فإنها طريقة الجاهلية الحمقى، وإن حسنت مقاصدهم فقد ساءت طرائفهم.

وهذا آخر ما يسس الله من هذه الرسالة الأصولية المحتوية على قواعد وأصول مختصرة جامعة، ونسأله تعالى أن يثبتنا على دينه، وصراطه المستقيم، إنه جواد كريم [28]، وصللى الله وسلم على عبده ورسوله سيدينا محمد وإله وصاحب أجمعين.
قال ذلك وكتبه الفقير
إلى الله تعالى
عبد الرزاق بن ناصر بن سعد,
غفر الله له ووالديه، وجميع المسلمين.
ونقلته من خطّ شيخنا الكرم متَّع الله لنا بحياهه
وأنا الفقير إلى ربّ البريّات عبده ابن عبده;
عبد العزيز بن صالح بن دامغ، وذلك بغاية من العجلة.
حرّر في 1/جمادى الثاني/1366ه.
منهج الحق
منظمة في العقيدة والأخلاق

للشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله تعالى
1307 ـ 1376 هـ

تُنشر لأول مرة
باسم الرحمن الرحيم

هذه منظومة تشمل على أقسام التوحيد: توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى أمهات عقائد أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها، وعلى التفكّر في مخلوقات الله، وآياته الدّالة عليه، وعلى أسمائه وصفاته، ومشتملة على التخلّق بالأخلاق الجميلة والتنزّه من الأخلاق الرذيلة، إذ هذه الأمور أصول العلوم وأمهماتها، وهي للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السّعدي، جزاه الله خيراً، آمين، وهي هذه:
١ - فيا سائلاً عن منهج الحق يبغي
سلوى طريق القوام حقاً ويسعده
تأمل هداك الله ما قد نظمته
تأمل من قد كان للكحق يقصده

٢ - نقيب بأن الله لا راب عيروه
إله علآ العرش العظيم ممجد
وشهد أن الله معبودنا الذي
خصصه بالحب ولا نفرده
قيل كله الحمد والمجد والشنا
فمن أجل ذا كله إلى الله يقصده

٣ - نسبحة الأميلاك والأرض والسما
وكل جميع الخلق حقاً وتحمد

٤ - تنزه عن نمذ وكف مماثل
وعن وضع ذي النقصان جليل الموحد
وئيس أخبار الصفات جميعها
ونصر من تأويل من كان يجحد

٥ - ليس يطيق العقل كنه صفاته
فسلم إيا قال الرسول محمد
10 - هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَائِهِ
وَكَلِّ جَمِيعِ الْخَلْقِ لِلَّهِ يُضُمُّ
11 - عَلَى عَلاً ذَاتَا وَقَدْرَا وَقَهْرَهُ
قَرِيبٌ مُحِيبٌ بِالْوَرِى مُتَوَّدُ
12 - هُوَ النَّحِيّ وَالْقِيُومُ دُو الْجُودِ وَالْغَنِيّ
وَكَلِّ صِفَاتِ الْحَمْدِ لِلَّهِ تُسْتَنَدُ
13 - أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عَلَمًا وَقُدرَةً
وَبِرًا وَإِحسَانًا فَإِيَّاهَا نَعْبُدُ
14 - وَيَبْصِرُ ذَرَّاتِ الْعَوَامِ كُلُّها
وَيَسْمَعُ أَصْوَاتِ العبَادِ وَيَشْهَدُ
15 - لِهَ الْمُلَكُ وَالْحَمْدُ المَجِيدُ بِمَلِكِ
وَحِكْمَتُهُ العَظِيمَيْنِ بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ
16 - وَتَشْهَدُ أنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الْدْجَي
كَمَا قَالَهُ الْمَبْعَثُ بِالْحَقَّ أُحْمَدُ
17 - وَتَشْهَدُ أنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رَسَلًا
بِلَآيَاتِهِ لِلنَّخْلِيّ تَهْدِي وَتَرَشِيدُ
18 - وَفَاضِلَ بَيْنَ الرَّسُلِ وَالْخَلْقِ كُلَّهُمْ
بِحِكْمَتِهِ جَلَّ العَظِيمُ الْمُوَحَدُ
19 - فَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ فِي الأَرْضِ وَالْسَّمَا
نَبِيُّ الهَدْيِ وَالْعَالَمِيُّينَ مُحَمَّدُ
20 - وَهَضَّ لَهُ الرَّحْمَنُ أَضْحَابَةَ الْألِيَّ أَقَامُوا الْهُدْىٰ وَالذَّينَ حَقًا وَمَهْزَوا
21 - فَخُذْ جِمِيعَ الْأَلِلَّ وَالْصَّحِبَ عَنْدَنا
مَعاَشِرٌ أَهْلِ الْحَقَّ فَرْضٌ مَوْكِدٌ
22 - وَمِنْ قَوْلٍ أَهْلِ الْحَقَّ أَنَّ كَلَامَهُ
هُوَ اللَّفْظُ وَالمَعْنَى جَمِيعًا مَجْوَدُ
23 - وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَنَّى لِخُلْقِهِ
يَقَوْلُ كَقَوْلِ اللَّهِ إِذْ هُوَ أَمْجَدُ
24 - وَنَشْهَدُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَلَهُ
بِتَقْدِيرِهِ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ
25 - وَإِيَمَانًا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَبِنَيَةٌ
مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقْيِدُ
26 - وَيَرَادُ بالطَّاعَاتِ مَعُ تَرْكٍ مَا نَهَى
وَيَنفَعُ بالعَضُلَانِ جَزَءًا وَيَفْسُدُ
27 - نُقْرُ بِأَحَوَالِ الْقَيَامَةِ كَلَهَا
وَمَا اسْتَمْلَثَهُ الدَاّرُ حَقًا وَنَشْهَدُ
28 - تَفْكَرُ بِآْيَاتِ الْعَظِيمِ وَمَا حَوْثُ مَمَالِكَهُ العَظِيمَةُ لَعَلَّكَ تَرْشُدُ
29 - أَلْهُمْ تَرَ هَذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا
فَأَغْفَقَهُ جَيْشٌ مِنَ الصَّبِيحِ يَظْرُدُ
30 - تأمل بِأَرْجَاهِ السَّمَاءَ جَمِيعِهَا
كَوْاَكُبْهَا وَقَلَادِهَا مُنَتَّرَدُ
31 - إِلَيْسَ لَهُذَا مُحِيدٌ مُنَتَّصِرٌ
حَكِيْمُ عَلَيْهِمْ وَاحِدٌ مُنَتَّقِرٌ
32 - بَلِي وَالَّذِي بِالْحَقِّ أَتَقَنَّ صَنْعَهَا
وَأَوْدَعَهَا الأَسْرَارَ لِلَّهِ تَشْهَدُ
33 - وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوِيَّنًا
وَمَا تَنْفَعُ الآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
34 - وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَابٌ
بِهَا يُعْرَفُ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَيُعْبَدُ
35 - لَقَدْ قَامَتِ الآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ
إِلَّهُ عَظِيمُ فَضُلُّهُ لَيْسَ يَنْفَذُ
36 - فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرْسِ الْأَلْلِهِ أَجَابَهُ
وُلَيْسَ لِمَنْ وَلَى وَأَدْبَرَ مُسْعَيدُ
37 - عَلَيْكَ يِتَقُوِّي الْلَّهُ فِي فَعُلْ أَمْرِهِ
وَتَجِنِبْ الْمَنْهَيْيَ عَنْهُ وَتَبْعَدُ
38 - وَكُنْ مُخلِصًا لِلَّهِ وَاحْدَرْ بِمِنْ الْرِّيَا
وَتَابِعْ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ تَعْبِدُ
39 - تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ حَقًا وَشَّيْنِ يَدْ
لِيَكُفْيَكَ مَا يَغْنِيكَ حَقًا وَتَرْشُدُ
٤٠ - تصبُر عَن الْعَصْبِيَّانَ وَاضْبِر لِلْحَكِيمِ
وَصَابِر عَلَى الْطَاعَاتِ عَلَّكَ تَسَعَدُ
٤١ - وَكُنْ سَائِرًا بِيَنِّي الْمُخَافَةِ وَالْرَجَا
همَّإ كَجَنَاحٍ طَائِرٍ جَيْنَ تَقْصِدُ
٤٢ - وَقَلْبُكَ ظَهْرُهُ وَمِنْ كُلَّ آفَةٍ
وَكُنْ أَبْداً عَنْ غَيْبِهِ تَتَمَقَّفُ
٤٣ - وَجَمِّلْ بِنُضْحِ الْخُلْقِ قَلْبِكَ إِنَّهُ
لَأَعْلَى جَمَالِ الْمَلْكِ لِلْمُقَلَّدِ وَأَجْوَدُ
٤٤ - وَسَاكِبُ إِذَا سَكَبَتْ كُلُّ مُوْفَقٍ
يُقْلُدُكَ الْمُخْبَرَاتُ نَضِحَا وَيُرْشِدُ
٤٥ - وَإِيَّاكَ وَالْمَرْءُ الَّذِي إِنْ سَكَبَتْهُ
خَشَّتْ خَسَارًا لَنِسْ فِيهِ تَرَدُّ
٤٦ - خُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ سَكَبَتْهُ
كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ
٤٧ - تَرْحَلْ عَنْ الْذِّنِيَا فَلْيَسْتَ إِقَامَةٍ
وَلَكُنْ لَهَا زَادَ لِمَمْلِكَتَكَ يَتَزَرَّوْ
٤٨ - وَكُنْ سَالِكًا طَرُقَ الْذِّينَ تَقْدِمُوا
إِلَى الْمَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَنِسْ يَنفَدُ
٤٩ - وَكُنْ ذَاكِراً لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
قَلْبُكَ لِذَكَرِ اللَّهِ وَقَتْ مُقَيْدُ
50- فاذكر إله العرش سراً ومعلناً يرزيل السقفا والهم عنك ونظرت
51- ويجلب للخيرات دنيا وآجلا
وإن يأت بك الوسواس يوما يشردت
52- فقد أخبر المختار يوما لصحيه
باشر كشير الذكر في السابق مفرد
53- ووضى معادا يسعين إلههم
على ذكره والشكر بالحسن يعبد
54- ووضى شخص قد أتي لينصيحة
وقد كان في حمل السرائع يجهد
55- بأن لا يزل رطبا لسانك هذه
نعمين علي كله الأمور وتسعين
56- وأخبر أن الذكر عرس لأهلبه
بجنات عدن والمساكن تمهده
57- وأخبر أن الله يذكر عبده
ومعه علي كله الأمور يسدد
58- وأخبر أن الذكر ينقب بجنته
وينقلب الطكيل كيف يخلدونا
59- ولئلا يك في ذكره غير أن
طريق إلى حب الله ومشرد
60 - وَيَنْهَى الْفِتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَحْبَةٍ
وَعَنْ كُلّ قَوْلٍ لِلَّدِينَةَانَّهُ مُفْسِدٌ
61 - لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ
بِكَشْرَةِ ذَكَّرُ اللَّهِ نَغْمَ الْمُوَحَدٌ
62 - وَلَكِنَّا مِنْ جَهَلَتِنَا قَلْ ذَكَّرْنَا
كَمَا قَلَّ مِنَا لِلَّذِيَا السَّتَعِبُدُ
63 - وَسَلِّ رَبّكَ السَّوْفِيقَ الْفَوْرَ دَايَمًا
فَمَا خَابُ عَبْدٌ لِلَّهِمَّ يَغْصُدُ
64 - وَصَلِّ إِلَيْهِ مَعَ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ
عَلَى خَيْرٍ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرَشِّدُ
65 - وَأَلَّا وأَضْحَابٌ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا
صَلَّاهُ وَتَسْلِيمًا يَدُوْمُ وَيَخْلُدُ

ملتمـت

غفر الله لكتابها ونااظمها وقارئها ومن قال: آمين،
وجميع المسلمين. وصلِّي الله على محمدٍ 1345 هـ.
الفهرس

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مقدمة المحقق</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>صور المخطوطة</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>مقدمة المؤلف</td>
<td>13</td>
</tr>
<tr>
<td>القاعدة الأولى: الدين كله مبني على عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده</td>
<td>15</td>
</tr>
<tr>
<td>القاعدة الثانية: الدين الحق هو ما جاء به الرسول من كتاب الله وسنة رسوله</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>القاعدة الثالثة: الإيمان بالله هو الأصل الذي دعت إليه جميع الرسول، وبه الرفيق الحقيقي في الدنيا والآخرة</td>
<td>48</td>
</tr>
<tr>
<td>القاعدة الرابعة: الأمر بالمعروف والتنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر</td>
<td>60</td>
</tr>
<tr>
<td>القاعدة الخامسة: الدين الإسلامي هو الصلاح المطلق ولا سبيل إلى صلاح البشر الصلاح الحقيقي إلا بالدين الإسلامي</td>
<td>66</td>
</tr>
</tbody>
</table>

* منهج الحق منظومة في العقيدة والأخلاق *

الفهرس